

مع تحياتي : علي مولا

وجدانيات

اسامه النور عكاشه



أوراق مسافر

نتمنى لكم أمتع الأوقات مع

مفتديان ليلاس الشفافين



## إهداء

إلى ... ..

الوهم الذى كان يوماً حقيقة ...

.. والجرح الذى كان يوماً ... وردة ...

.. والألم الذى كان يوماً ... ترنيمة حلم ...

أسامة الفزعكاشنة



## تقديم

فى ربيع عام ١٩٩٢ ... طلب منى الصحفى النابه والصدىق «محمود سعد» وكان يدير مكتب إحدى المجلات العربية فى القاهرة أن أكتب صفحة ثابتة التقى فيها مع قراء هذه المجلة كل أسبوع .

وفاجأنى الطلب ...

صحيح أننى لم أكن حديث العهد بكتابة المقال الصحفى ... ولكن ... كنت أكتبه أحيانا عندما أحس بحاجتى إلى التعبير عن رأى فى قضية ما من القضايا المثارة على الساحة ... خاصة إذا كان هذا الرأى لا يمكن فنيا أو عمليا التعبير عنه فى دراما أكتبها ...

هذا إلى جانب أننى لم أفكر لحظة ... ولم يدرب بخلى ... أن أمارس الكتابة المنتظمة فى أى صحيفة ... وكان أن أحسست أولاً باستحالة الطلب وبدأت أمهد للاعتذار ... ولكن «محمود سعد» صحفى شاطر ... استطاع أن يستدرجنى ويهون على الأمر حتى كتبت ...

قبلها واجهنى سؤال : ماذا أكتب ؟ ...

لم يكن مطلوباً أن أكتب المقال السياسى ... لأن المجلة بتبينة تماماً عن السياسة ...

ولم أرد أنا أن أكتب فى الفن ... باعتبار أن انتسابى إليه قد يؤدى إلى حساسيات لا لزوم لها ... واقترح على محمود ... أن أكتب : خواطر ... أو شطحات فى الفكر والحياة والعاطفة ... فكان أن فتح لى الباب وحل الإشكال ...

قررت أن أكتب فى الرومانسيات ... أترك نفسى لتيار المشاعر يحملنى فى سفرة يومية عبر أجواء اللاشعور والمخبوء ... وما انطوت عليه الجوانح ... وأردت أن أغمس من القلم فى شغاف القلب ... يستمد مداده من الجراح الحية ... ونسيج الذكريات وأحلام اليقظة وأطلال الآمال الكسيرة وإشراقات الأمنى الوليدة ... مقدراً أننى فى حقيقة الأمر لا أكتب تهويمات تنطير فى الهواء كدخان ... وإنما أكتب حقائق نفسية تبدو شديدة الخصوصية ولكنها فى واقع الأمر تلمس أوتار القلوب لدى كل قارئ ...

وتوالى مقالاتى فى الصفحة الأخيرة التى خصصت لأوراق المسافر طوال ما يزيد عن ثلاث سنوات ... دهشت لها قبل أن يدهش الآخرون ...

لم أتصور قبلاً أن لدى كل هذا المخزون ... وأن بداخلى هذا الشاعر وإن لم يك ما يكتبه شعراً ... حتى أننى أنكرت نفسى حين عكفت على مراجعة المقالات لإصدارها فى كتاب ...

وحدثنى الأصدقاء فقال قائلهم ...

ليس هذا هو أسامة أنور عكاشة الذى نعرف ... وقلت مسامراً : وليس هو الذى أعرفه أنا أيضاً ...

ولكننى حين دقت النظر وأمعت لتفكير ... وجدت أن الكاتب ليس هو نفسه فى كل مرة يكتب ... وإذا كانت دراما التليفزيون تحتم أن يكون كاتبها لصيقاً بالواقع وأن يوظف كل إمكانياته وإبداعه لخدمة هذا الواقع بتفسيره والتعبير عنه بعيداً عن مغامرات التجريب ومخاطبة «الخاصة» ... فإن للكاتب - الموهوب جوانب إبداعية أخرى يعبر فيها عن ذاته وعن هواجسه وأحلامه لاسيما إذا اقتربت أليات



الإبداع عنده وتلامست مع روح «الشعر» .. وأبادر فأقول أن ماسيقراء  
المتلقى عبر هذا الكتاب وما يكون من « وجدانيات » ليس شعراً ولا  
هو محاولة لكتابة «قصيدة النثر» أو الشعر الحر أو غيرها مما حفلت به  
الساحة الأدبية من أشكال التحايل أو التجديد أو أياً كانت المسميات ...  
فقد أستطيع أن أنسب هذه « الوجدانيات » لما اصطلاح على  
تسميته « بالنثر الفني » والحق أقول أنني لم أعن حين كتبتها  
بوضعها أو بتصنيفها ضمن « شكل » أدبي بعينه ولا يعنيني الآن  
أن يعدها ناقد ما مجرد « خواطر » مرسله أو يصنفها آخر ضمن هذا  
الجنس أو ذاك من أجناس الأدب ...

ولعلني لا أنهي هذه المقدمة دون أن أعبر عن امتناني العميق  
لأصحاب الفضل في صدور هذه الوجدانيات ... للصديق محمود  
سعد ... وهو من أصر على أن أكتبها وصبر معي وعلى طوال  
سنوات ثلاث ... ولولاه ما كانت أصلاً ...

ويبقى أن أتوجه بالشكر للأساتذة أصحاب دار «نهضة مصر»  
للطباعة والنشر لما أبدوه من حماس كريم ... وما بذلوه من جهد  
لإخراج هذا الكتاب على أفضل صورة ...

ولك أيها القارئ العزيز شكري الخاص إذا قرأت فاستمتعت  
ورأيت أنني لم أخلف حسن ظنك بي ...

ولك اعتذاري إذا وجدت في سطوري ما يزعجك أو يضيع  
وقتك ... وعلى الله قصد السبيل .....

المساهمة في نشر المعرفة

## قَدْرًا!

أن نلتقى الآن! .. قدرًا!

أن تتقابل أقدامنا على جسر لم نعبره من قبل! وبيننا مسافات  
من أميال وسنوات ... أيضاً قدرًا!

غريبان اجتمعا في رحلة ليل لم يقطعها قطار ولم ينتبه لها  
الزمن ولم يتهيا لها المكان ... لكنها قدر ...

طرفة عين لا أكثر! لم يعد العالم بعدها كما تعودت أن يكون!

يشتبك الطريق! يتقاطع .. نتواجه في المفترق!

من سنوات طوال وكل منا قد حُدد اتجاهه واستسلم لأسهم  
تشير له أمرة «الدخول اجباري» ... والسير في هذا الاتجاه لا  
مفراً ... وأطعت قدرى ... سرت دربي ... وألقيت عصاي  
على كاهلي ... وشرعت عيناي في أفق لا تعبره شمس النهار ولا  
تتألق في ليله نجمة هادية! ولم تتكاثف في أرجائه سحب حبلى



بمطر قريب ... جف حلقى .. وتشقق لسانى .. ودميت أقدامى!  
ولم يبق لى من زاد إلا لقيمات الصبر المرة ألوكها مع الأيام ..  
حجراً يدور فى رحى لا تطحن غير التراب ...

وأه من طعم التراب! ...

لعلك قد عرفته وأنت بعدما زلت فى الربع الأول من دربك الطويل ...  
رأيت الطعم لحا فى نظرة يأس تبرق فى عينيك كماسة  
سوداء ... قرأت سطور القصة ... كانت الكلمات مألوفة ...  
كأنى كتبت بها قصتى! ...

يوماً قالت لى العرافة ...

- ستلقاك على نفس الطريق! وليس فى نفس الموعد! ..

أدركت الآن فقط أن اللعبة كانت الزمن! ..

لم نشأ الأقدار أن يلتقى الغريبان فى الزمن الصحيح! لعبت  
بعقارب الساعات

... أوهمتنا بأن السنوات الطوال تساوى الأيام ... وأن الأيام  
تساوى اللحظة ... وصدقنا! تحرك كل إلى صاحبه وكان كل  
الدروب مغلقة إلا درب اللقاء ...

التقينا ... ونحن نعرف صاحب اللعبة! ونعرف لعبته ...  
ونعرف كيف ينسج خيوطه على نول الصدفة .. ويلونها بألوانه  
العابثة ليصنع منها فى النهاية ثوبا مزدوج الوجه ...

- الحب يا ولدى كما تراه ... فارتدى ثوبك على الوجه الذى  
تحب ...

- ولكنى لا أرى شيئاً فقد عصبت عينى! ...

- وهل من عاشق يرى أقداره ويختار؟

وحملت إليك السؤال وأنا أعلم أنك مثلى لاتعرفين الجواب ...  
وعصفت بأعماقى رياح التمرد! أحسست بالمهانة ... ورفضت  
الاستلاب ...

من يفرض السؤال ... يفرض الجواب ..  
إذا فلنضع سؤالنا ... ولنلق بأسئلته بين حجرى الوحي  
ليطحنها مع التراب ...  
... ولنبدأ الطقوس ...

انظرى فى عينى ... واقراى الحروف ...

ومن عينيك أتلقي الكلمات ...

إذا أردنا سنفعل ...

لن نرتدى ثوبه ...

فقد أردنا! .. وحين أردنا صنعنا نولنا الصغير ... وغزلنا عليه  
الكلمات .. خيطاً لامعاً من شمس الخريف ... يفسد لعبته الزمنية ...  
فيكون .. ربما يكون هو اللاعب الجديد ... ربما كان قدراً!

كلمات من يوميات قديمة!

أعبدناها نظرات منك صادقة

أن تحسب الشحم فى من شحمه ورم

«أبو الطيب المتنبى»



## فريف

تتراكض سحب تشرين .. تتسابق .. تلتحم .. تصبح الشمس  
أسيرة ... وتسرى فى الأطراف برودة الزمن القادم ...

والزمن القادم يا أختاه يرتدى مسوح الفارس المهزوم ... يمتطى  
ظهر جواد أثخنه الجراح ... تتدلى من سرجه المهترئ قربنا ماء  
فارغتين إلا من قطرات الشمال .. يجرجر على الأرض سيفاً صديداً  
ويشرع أعلاه رمحه المكسور ...

... الزمن القادم يا أختاه طفل مقرر أدركه المشيب قبل الأوان  
فلم يعرف الصبا ولم يعيش لحظة شباب ... ولد عارياً فتغطى  
بوريقات أشجار زاوية ولملم أطرافه على الطوى ...

الزمن القادم يا أختاه ... شحاذ يجلس فى دروب المدينة  
العتيقة يعزف على قيثار خرب مقطوع الأوتار الحانا منسية ويردد  
أغنيات الحب القديمة التى لا تطرب أحداً ...

الزمن القادم يا أختاه مسافر أضاع بوصلته ... وغمت عليه  
الشمس والنجوم ... وصمتت دونه الرياح فوقف عند المفترق  
بجبل بصره بين الدروب المتشابكة والإشارات الخادعة ...

درب الماضى هو درب المستقبل .. وعليه لافتة تشير إلى السير  
فى اتجاه واحد ... لا عودة ... لا رجوع ...

وعند قمة المنحنى ينتهى الدرب ... ولا تبقى إلا خطوة نحو  
الهاوية ...

... ودرب الانتظار تعلوه لافتة «ممنوع الانتظار» ...

ودرب السلامة تعلوه إشارة الخطر ...

ودرب الندامة تغلقه الأشواك وتربض فى منحنياته وحوش  
الرهبة ... ولم يبق هناك إلا درب وحيد ... بلا لافتة ... ولكن  
زمننا القادم يعرف .. هو درب دانتي ...

أيها الداخل ... لن يكون هناك خروج ...

.....

صوح الزهر وجف العبير ...

وتساقطت قطرات الحزن على الحدود ...

وقريباً تأتى الثلوج ...

فلنبحث عن رداء يا أختاه ... ومظلة للمطر ...



ولنملاً جنوبنا ببعض الزاد... لقيمات فقط... فالرحلة  
قصيرة... أقصر من عمر فراشة...

أقصر من مدى خطوة...

زمننا القادم ينتظر عند المفترق... ويشير لنا كى نسرع...  
وعلينا أن نطيع.. فرما...

ربما فقط كان يعد لنا تحت معطفه الثقيل أعجوبة يفاجئنا  
بها... من يدري؟

أما زلنا نقوى على الأمل...

مازلنا نحيا...

كلمات من دفتر قديم:

الذكاء عند بعضهم...

ليس أن تفهم الآخرين...

ولكن أن تمنعهم من فهمك!

## بواب

خصلة شعر تحركها ريح نزقة... ترعشها كخفقة قلب..  
تطويها وتبسطها كشرع ملاح تائه... تجشو بها على جبين  
بللورى.. تلثمه.. تهمس له.. تناجيه.. تشتعل تحت نار  
الغروب... تتوهج... تنثر حولها رزازاً من ألقي ساحر...

... تولد من حضن الأفق...

تتهادى ملؤها كبرياء... وترفل فى ثوبها السماوى المتوج  
بإكليل وردى... تبدو كعروس إغريقية تتواثب على قمة  
الأوليمب...

كسراب تقبل ولا تصل.. تعد ولا تنفى.. تغرى ولا تلبى...

أجلس على كثران الشاطئ بكأسى الفارغ... وأنتظر فيض  
الرحيق...

بجوارى سلتى الخاوية... تنتظر كرمها الموعود...



لظالما استغرقتنا أحلام الدوالى ... تتساقط حباتها بين شفتين  
تشققنا ظمأً واحترقنا فى موسم الجفاف ...  
لكنها قادمة ...

المح بشاراتها زبدًا يتفتت على الرمال ... وأصدافاً مبللة تقفز  
بين أصابعى وتهمس فى أذنى بسر الرحلة الطويلة ...

لظالما حاورت البحر ... سمعنى كثيراً ... وسمعته طويلاً ...  
أخبرنى عن كل الأشياء وألقى بين يدى بكل أسرارهِ ... حكى  
لى عن عالمه المسحور ... عن جنياته ... وعرائس أعماقه ... عن  
قصص المحبين ... وحكايا العشاق وسفرات الراحلين ... وأشواق  
التائهين ...

صرنا أصدقاء فسألته عنها ...

لم يجب البحر ...

تحول إلى زجاج أصم تنعكس عليه أشباح رمادية ...

سألت الرمال ... خططت بأصبعى اسماً ... وضعت تحته  
خطاً ... رسمت علامة الاستفهام .. توترت الرمال تبعثرت  
وانفلتت حباتها فى مسار العاصفة فانمحت الحروف ... وانطمست  
علامة الاستفهام ... ونسيت السؤال!

لكنها قادمة ... هاهى تسرع نحوى .. فوارة صاخبة ... كأنها  
تنادىنى ... تهتف باسمى ...

سأخوض إليها عباب البحر ... سأشرع ذراعى فى وجه

الإعصار ... أفتح لها صدرى .. ألقى برأسى فى أحضانها ..  
تغمرنى ... أغوص فى أعماقها أرفع رأسى ... تلسع شمس  
الظهيرة عينى ... تحرقهما ذرات الملح ... أحتسى بها ولكنى لا  
أجدها ...

كأنها لم تجب ... كأنها لم تكن ...

وكأنى كدأبى كل مرة ... أقبض على حفنة مياه تتسرب من  
بين أصابعى فأفتح كفى على الهباء ...

أقلب كأسى .. أنظف سلتي ... أنتظر الأخرى ...

هاهى تقبل من بعيد ... وها أنا أجرى إليها ...

لم يخبرنى أحد من قبل أن الأمواج تموت على حافة الشيطان .

كلمات من دفتر قديم :

انهم يقولون ... ماذا يقولون؟

دعهم يقولون!

«مثل غربى»



## ثالث

هبط من عربة الترام وقد أغلق قبضته على القطعة المعدنية بقوة هائلة حتى أحس أنه لو أراد أن يفتحها ثانية لما استطاع ..  
كان العرق ينزف من كل مسامه كقطرات الثلج .. ولم يجروا على النظر للخلف ... رغم إحساسه بأن هناك تياراً من نار يلهب رأسه ...  
... عبر الطريق إلى الرصيف ... فكر أن «يضعها» في جيبه ... لكن ذراعه شبه المشلول لم يطاوعه .. كان الخدر يختلط بالألم كلما حرك ذراعه .. وأحس لها «بلمس» جمرة تحرق لحم الكف .. ما الذي جعله يفعل هذا؟

لماذا استسلم لذلك الهاجس الشيطاني؟

... لقد كان وحده تقريباً في عربة الترام ... لم يكن هناك سواها .. تلك العجوز الموهلة في القدم التي احتاج الأمر حين حل موعد هبوطها .. أن يتعاون مع محصل التذاكر حتى يمكنها النزول

في المحطة بعد أن سبقها كلبها الضخم .. وقد حدث الأمر في هذه اللحظة بالذات ... بعد أن اختفت العجوز وكلبها وسار الترام .. وارتد هو ليجلس مكانه ... وهنا لمح القطعة .. على المقعد الذي كانت العجوز تحتله ...

كان هناك شعاع من مصباح العربة ينعكس عليها .. لامعاً كنصل حاد ... براقاً كإنداز ... مختلجاً كدعوة إغراء ...  
تظاهر برغبته في تغيير مكانه ... وأسرع إلى المقعد ... تلفت حوله ليرى موقع المحصل ... ولكنه كان قد انتحى ركناً وغرق في النوم ... وامتدت يده تلتقط القطعة ...

حلية من الذهب الخالص تتوسطها قطعة من الياقوت الحقيقي ... دسها في جيبه وقلبه تتسارع دقاته في عنف .. ولعابه يجف في حلقة ..  
... يا لله ! متى كان لصاً؟

سار والسؤال يدق في رأسه موازياً دقات قدميه على أرض الشارع الخالي في هدأة آخر الليل ...

كيف يعود بهذه القطعة إلى بيته؟ وماذا سيقول عنها لزوجته؟ اشتراها؟ من أين وهي تعرف جيداً أن مامعه يكفي بالكاد لشراء التبغ والعودة إلى المنزل ..

... أم يقول أنه وجدها في الشارع؟ أم يقول الحقيقة ؟  
تشابكت الأسئلة وأصابته بالدوار في لحظة .. نفس اللحظة التي لمح فيها ..

كان يسير موازياً له على الرصيف المقابل .. ربما كان يتبعه من البداية ...



افترض أولاً أنها مجرد صدفة .. فأبطأ فى سيره .. ثم توقف ..  
ثم أسرع .. وفى كل حالة كان يفعل مثله .. وكأنه كان ظله ...  
أحس بخوف مبهم يهاجمه .. فقرر أن يجرى ... لديه فرصة ..  
فالنزل قد اقترب ... بعد تقاطعين لا أكثر ...

جرى ... فجرى الآخر ... وهذه المرة لم يكن بموازائه وإنما كان  
خلفه ..

أحس باللهات الوحشى ... ثم غمغمة غاضبة ... وخائته  
ساقاه .. فتوقف واستدار مرعوباً .. فوقف المطارد بدوره ..

كان لسانه يتدلى ... وعينه تبرقان بأمر صارم .. وأنيابه الحادة  
تنتصب فى وجهه مهلدة منذرة ... ماذا يريد ..! أجابته نبحة  
حادة غاضبة .. ونظرة من العينين الزجاجيين .. نحو قبضته ..  
نظر إلى قبضته .. ونذكر! فلانت عضلاته وفتحها ..  
نبحة أخرى جعلته يفهم ...

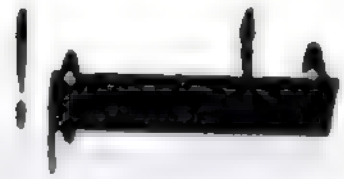
رمى القطعة على الأرض ... انقض عليها الكلب وقبض  
عليها بأنيابه ... ثم أقفل يعض مخنقياً فى حلقة الطريقة ...  
أما هو .. فقد واصل طريقه .. وهو يتشأب ويحلم بالسريير  
والنعاس ..

كلمات من دفتر قديم :

أطعت فى عواذلاً فهجرتنى

وعصيت فىك وقد جهدن عواذلاً

«جميل بثينة»



فى الغرب .. تهاوت شمس تشرين وانطفأت فى البحر ...  
... كنت قد انتهيت من قصتى ... وفرغت من آخر حرف  
فيها ... وألقيت على صديقى نظرة التساؤل الأخير ...  
تقلب حاجباه .. وشررد طويلاً ... ثم همس :  
- تعرف أن الحلم قصير ...  
- وأعرف أن العمر الراكض أقصر ...  
... وصمتنا ..

لم يعد هناك ما يقال ... فرحلة الألف ميل لم تبدأ ... لم  
تخط خطواتها الأولى ... وبقي الطريق طويلاً ... عسيراً ... يلوح  
كأنه الأبد!

لم أسأل أحداً غير صديقى ! .. وصديقى لم يعرف ماذا  
يقول ... نهض .. وألقى سلاماً .. وتوارى .. ينقض العالم من





حولى ... تلذعنى ريح الوحدة! أفزع للقلم وللأوراق .. أكتب ..  
أتكلم ... أصرخ! أصنع من أضغاث الحلم رجلاً .. ونساء ..  
أطفالاً ... تتقدم طفلة ... الطفلة تمسك بأصابعها زهرة ..  
تغرسها فى قلب ينزف ... يتقاطر حرفاً حرفاً على ورق أبيض ..  
تقرأها الطفلة ... تهمس دامعة العينين ...

- عمر الورد قصير ...

- والعمر الراكض أقصر ...

لثمت أوراقى المسطورة ... أنبتت الأوراق قصيدة ... غنتها  
الطفلة ... لكن اللحن تهدج محزوناً .. وارتجفت أوتار المعزف ...  
طلبت اسماً للمقطوعة :

«كم يبلغ عمر الأحران؟» ...

قالت : ليلة ! ... قالت : لحظة ! ... قالت : عمراً ...

لم تعد الطفلة .. طفلة .. صارت امرأة فى لحظة! جلست ..  
«موناليزا» تبسم للفنان ...

لم أملك ساعتها ... فرشاة ... لم أرسم لوحة ...

همست تسألنى : قيم تفكر؟ ..

لم أتكلم ... ردت عنى عيناي : لا أعرف ماذا أكتب ... ماذا  
أعزف ... ماذا أرسم! ..

هل أنظملك قصيداً فى ديوان العشيق؟ ... أم أعزفك «سوناتا»  
على أوتار القلب؟

أم أرسمك غلاًفاً لكتاب العمر؟ ..

قالت : أخشى أن يصدق ما همسوا به ....  
عنى؟ ...

قالت : لعبتك الكلمة! لعنتك الكلمة!  
وماذا أفعل والكلمة قدرى؟ ..

من صدرى أخرجت الزهرة دامية الأوراق ... عادت امرأتى  
طفلة ... مدت يدها تطلب زهرتها ...

رجعت للصفحات المسطورة ... عادت حرفاً ... صارت جزءاً  
من كلمة ... خفقت بعضاً من نبضة .. رنت فى الصرخة نبرة ...  
أيقظنى الصوت! ..

وعند السور الرابض فوق الموج ... كان صديقى ...  
يجلس مكدود النظرة ...

- هل كانت قصتك مجرد حلم؟ ...

قلت ... تعرف أن الحلم قصير ...

قال ... والعمر الراكض أقصر ...

**كلمات من دفتر قدم :**

إذا كان ذنبى أن حبك سيدى

فكل ليالى العاشقين ذنوبى

أتوب إلى ربى وإنى لمسرة ..

يسامحنى ربى إليك أتوب



## لنا!

ولد الربيع مبتسراً في موسم الأمطار! أشرق ذات يوم من مشيمة  
فجر شتوي بارد... تسلفت خيوط الدفء نجلى ولكنها ملحة...  
تصر على اجتياز المساحات الثلجية... تصاعدت أنفاسها بخاراً  
يتكثف على أوراق الشجر وزجاج النوافذ...

وقفت خلف النافذة أرمق الدرب... لعل أراك..

لم أدر سر القطرات المنزلقة أمام عيني... أكان المطر... أم هي  
الدموع....

جفت كل الدموع في ليل سابق!... ولم تجف الأمطار...

ربما لأنني أحب الأمطار...

أحببتها يوم زفت إلى البشري! انتظرت طويلاً... وكابدت  
الغربة والملل وعاشت الشجن تحرق جوفى بكل جفاف البرارى  
والقفار... ويت أحلم بالمطر...

أحلم بالقطر يبلل جوانح الشوق... ويروي غلة الظمأ...  
ويتب في قلب الصخر زهرة بيضاء...

... وحين استيقظت من الحلم على هسيس المطر... كنت  
وردنى...

كنت هناك... عبر الأسوار... حيث لاتطالك أيدى  
الأمانيات... نجمة... مثل نجمة تخفق في ليلة لم يبد فيها  
القمر... أو كنت ومضة... ومضة قنديل في حضن شرفة  
مسورة... يلوح للثائه عن بعد فيهديه المسير...

تضوعت الأمطار بعطرك وتلألأت ببريق عينيكي...  
فخلعت عنى رداء الخريف القائم وجريت أغتسل تحت الدفق  
الربيعي وملأت كفى وشربت حتى الشمالة....

نفضت عنى قطرات المطر... نشرتها على أوراق الشجر...  
وبللت بها شفاء الورد...

سقطت في حجرى وردة... رفعتها إلى شفتى...

وكان الرحيق هو البشري!....

وفي المساء جلست أنتظر... أمسكت فلمى وكتبت قصيدة  
شعر...

نظمت من الأيام والذكريات والأشواق عقداً أحيط به  
نحرك... تلثم حياته ما سال في مجرى العبير في صدرك...

أمسك العقد بين أصابعى... وأنتظر... في شرفتى المطلة على  
درب الفيروز... حيث خطرتن ذات مساء صيفى بلا موعد...



عبر الأسوار أراك... مغلولة اليدين... مقيدة الخطى...  
أسيرة سجان أعمى... لكن القلب يطير...  
ينخفق بجناحيّ عصفور... يفلت من ريق الأسوار...  
يمرق فرق غمام الأحزان...  
ينزع ريش الأوهام... يغتسل بنور الشمس...  
يتجدد كالعنقاء... وفوق السور الأزرق يهبط...  
يقفز نحوى...

فى صدرى ينخفق عصفور آخر...  
هكذا كتب القدر المسطور...  
سوف يكون...

رغم الأسوار... رغم فيافى البعد...  
سوف يكون...

يولد من رحم الإعصار... طفل ربيع...  
يحبو فى مرج الصيف...

يقبل فى نفس الموعد... ذات مساء... ليكون لقاء..

كلمات من دفتر قديم:

الحب فى الأرض بعض من تخيلنا

لو لم نجده عليها لاخترعناه

(نزار قباني)

## سؤال ..

إلى أين؟...

لم يكن سؤالاً! كان خروفاً أحسست به يرتجف فى نبرات  
الصوت التى تتظاهر بالشجاعة!

حاولت أن أكون بسيطاً... رتبت على الخصلة الرعناء التى  
تغالب نسمات الليل العابثة... وهمست...

لا تلق بالاً إلى الغد... فهو يظهر الغيب... واليوم لنا!

أشاحت بوجهها غير راضية وكررت السؤال... فرفعت قناع  
الرجل البسيط ووضعت قناع الفيلسوف!

...سؤالك يحمل فى ثناياه الجواب!

وحالة «التساؤل» تضم فى أحشائها جنين التمرد... الذى



يولد كائناتاً من كائنات الغضب والعذاب! وينمو حتى ينفجر على نفسه .. ويتناثر شظايا تحرق كل مرافق الأمان!

... الأمان توأم السكون! السكون توأم العدم ... وأنا لا أبحث عن عدم ... أبحث عن حياة ...

التمعت عينها ببريق الغضب المشحون ... رفضت منطق الفيلسوف! ... خلعت قناع الفيلسوف! بحثت في جمعيتي القديمة ... عثرت على قناع العاشق ... وضعت ... عاودتني ذكرى الليالي المترعة بالنشوة وتنسمت عطر الشرفات الصيفية ... خرج صوتي مترنماً ...

- لاتسأليني! فالسؤال مصرع العاشقين! دعينا نواصل الحلم بأحلام جديدة ، والحالم لا يسأل ... لا يؤرقه غير خوف البقعة! الحالم لا يبحث عن غاية ولا يثير فضوله أن يعرف نهاية الطريق ...

سؤال العاشق مضيعة للوقت ... والوقت ضنين ... فلا نضبعى مسرات البداية بظلال النهاية البعيدة ... أعرف مثلك أن الحب تسرى عليه قوانين البشر ... يولد ... فيكبر ... فيشيب! ومثلما لا يدفن الإنسان لحظات العنفوان في خوف من الليل القادم ... علينا ألا نقتل «الآن» بالتساؤل عما يأتي بعده ...

مدت يدها ونزعت قناع العاشق وألقت به على الطريق تتغافز به رياح الشتاء تحت قطرات المطر!

مددت يدي أبحث ... لم أجد في الجمعية أقنعة أخرى! .. همست تلح في إصرار:

لامفر من الحقيقة! ...

أدركت أن اللحظة التي طاردتني طويلاً قد أمسكت بي ... استجمعت كل ما بقي لدى من شجاعة ... ونظرت إليها ... - تسألين إلى أين؟ .. ومن أين لي أن أعرف؟ ..

إننى يا عزيزتى أفتقد بدهة الرجل البسيط .. ولا أمتلك حكمة الفلاسفة ولم أعد أجيد بلاغة العاشقين ... وليس عندي ما أجيب به على سؤالك ... صمتت ... شردت عينها ... تابعت سرباً من طيور المساء الراجعة إلى أعشاشها ... وهمست: هذه الطيور تعرف إجابة السؤال ..

أجل يا عزيزتى .. ولكنها لاتسأل!

كلمات من يوميات قديمة :

قد تخدع بعض الناس كل الوقت  
وقد تخدع كل الناس بعض الوقت  
ولكنك لن تستطيع أن تخدع كل  
الناس كل الوقت!

(حكمة غريبة)



تتحرك ببطء... تكاثف مع الضباب وبخار الماء ثم تتفصل عن كتلة  
الرماد المحمر في خط الأفق... تعبرها شمس تغرب لأخر مرة...

الثقل في الأقدام المبتلة يرسل تياراً من برودة ثلجية تتسرب  
إلى الساقين فيشعر بانفصالهما عنه... وعيناه مصلوبتان على  
الكتلة السوداء تخب في عباب مضطرب...

آه...

كم من مرة وقف وانتظر... حتى دخلت كل السفن...  
وهبط منها كل المسافرين...

ولم تعطه واحدة منهم زهرة...

لعل زهرة الليلك هي التي تندر في مواسم السفر...

قيل له... حين تأتي لا بد أن يصحبها برق...

السما رمادية ولكنها تخلو من ندفة سحاب... حتى تساءل  
من أين يهطل المطر...

السما لم تكن حبلو بغمام يمطر...

لعلها قطرات الندى تأتي بلا موعد...! والطبيعة كثيراً ما  
تتمرد على السائد والمحتم... الطبيعة قد لا تكون هي نفسها...

دبت الحركة في الموجودات حوله...

نسارعت أقدام كثيرة تهتك الصمت... وسرى هسيس  
المطر... ثمسخه في لحظات أصوات بشرية تنادى وتصرخ  
وتضحك وتتساجر...

## حين تأتي!

قيل له... حين تأتي... ستعطيك زهرة...

... كان الموعد متوافقاً مع غياب الشمس...

على الرصيف كان يقف رغم مطول المطر... كان الرذاذ  
المتساقط ينقش مياه المرفأ بالآف النجوم المرعشة...

وتناهت من بعد قريب صفارة الوصول...

كل الصفارات تتشابه... الرحيل والوصول... نحن فقط  
نترجمها في الأعماق... نغنى عند الوصول ونبكي عند  
الرحيل...

وفي المرتين نعزف موسيقانا...

لم يتلمس بعد تناغم الأصوات في داخله... كان ينتظر...

كتلة ضباب تتقدم على شفاه المرفأ...



وقد بدأ الدرج الممدود على الرصيف يهتز ... ومن جوف ...  
الباخرة تتسرب الوجوه ... ترى أين هي ؟

عرف أن القانون يحتم مجيئها على متن هذه الناقلة  
العملاقة ...

دارت عيناه ... تتفحصان كل من يعبر الدرج .. قاطعت رؤيته  
مشاهد اللقاءات الحميمة ودموع الأشواق الطويلة ...

تنفس بعمق لتسرب إلى أنفه رائحة الزهرة ...

تقترب مرتدية معطفاً رفعت ياقته حتى أخفى نصف الوجه ...

في عروة المعطف كانت زهرة الليلك .. أقبلت ... خفق قلبه  
حتى اختنق ..

مرت به ... لم تعطه الزهرة ...

التفت خلفها ... فلم يرها ...

انتابه اليأس .. فالمرعد هو الأخير ... وبعده سيرحل إلى  
مرافق أخرى ... في أرض مجهولة .

كلمات من دفتر قديم :

الشجن ... دمة نهاية تنحدر

على حدود الذكريات لترسم

بسمة حنين لماض لا يعود .

## قبيل الفجر

لم يكن قد مضى على ذهابه للفراش ساعة أو بعض ساعة  
حين أيقظه رنين الهاتف ... فتساءل في ضيق عن الطالب .. كان  
صديقه ..

- كنت في الساحل الشمالي اليوم .. رحلة عمل ...

- وماذا بعد؟ ..

- ألم تقل لي أن «س» قد سافرت إلى أسوان مع أبيها ؟ ..

- أجل وقد طلبتني على الهاتف منذ ساعات قليلة ...

- آسف .. لقد رأيتها اليوم في قرية الشمال ... ولم تكن  
وحدها ! ...

... بقي واجماً لدقائق ... وقد أحس بالك من نوع غريب في  
أحشائه .. كأن شيئاً قد انفجر بداخلها هو يعلم جيداً أن صديقه



لا يمكن أن يكذبه القول ... فهذا الصديق بالذات ليس ... أقرب  
أصدقائه إليه بل هو قبل هذا رجل مستقيم الشخصية لا يميل إلى  
الهذر ولغو القول ..

لم يستمر الجدل داخله طويلاً ... وبعد دقائق كان في  
سيارته ... يخرج من المدينة إلى الصحراء ... العلامات الضوئية  
على الطريق الأسود تومض متوهجة في عينيه .. والنعاس المنكسر  
في جفنه ينبض على إيقاعها ... وقدمه تضغط لا إرادياً على  
مغذى الوقود ... فتعرق السيارة كالسهم دون أن يحس بأى فارق  
في السرعة .. كان يريد أن يطير .. أن يصل إلى القرية قبل بزوغ  
الفجر ...

لقد توافقت المعلومات فمن أسابيع جاءه من يهمس في أذنه  
بإشارات عن علاقة تتواطد بينها وبين مدير شركة السياحة التي  
تعمل بها ... وعبر عن احتقاره لما سمعه بإلقائه على مسامعها مع  
ضحكة استبعاد ساخر ... الآن فقط يتذكر كيف تورد وجهها  
للحظة ثم امتقع وكيف ارتعدت أرنبه أنفها .. تصور ساعتها أنها  
انفعالات غضب واستنكار ... الآن يوقن أنها علامات انبياك  
وبغته .. هو ليس رجلاً مريضاً بالشك ولولا أن مكاملة الليلة جاءت  
من هذا الصديق بالذات لواصل نومه في استرخاء تام ...  
ولكن .. عليه الآن أن يعرف عن يقين ..

استعرض مع امتداد الطريق قصته معها بكل التفاصيل ...  
وضعها أمامه في مرآة السيارة وراح يحاسبها يذكرها بما فعله من  
أجلها ... وكيف رعاها ووقف بقوة إلى جانبها في كل الأزمات

التي مرت بها ... ويعيد على مسامعها كل ما قالته وهمست في  
أذنه حتى تصور أنه امتلكها كما لم يمتلك رجل امرأة من قبل ...  
ثم نحأها من عينيه وراح يجتر كل ما قرأه أو سمعه عن طبيعة  
حواء المتقلبة وأهواءها وجحودها استشاط غضباً وزاد ضغطه على  
قدمه اليمنى حتى سمع زئير المحرك ...

سأل نفسه وهو يدير مقود السيارة إلى اليسار تاركاً مشارف  
الإسكندرية إلى يمينه .. وكانت الغلالة البنفسجية الشفافة تطرح  
نفسها على المساحة الظاهرة من الرتبة المظلة على البحر ..

... ولم قبيل الفجر بالذات ؟ يمكنك أن تصل في أى وقت  
.. رد على نفسه .. كلا ... فربما كانت تخطط للسفر إلى أسوان  
من الإسكندرية فجراً لتثبت وجودها هناك ...

وواصل السؤال .. وماذا تفعل إذا واجهتها؟ .. أنت لا ترتبط بها  
بغير رباط المشاعر والعواطف .. وواصل الرد ... أريد أن أعرف  
فقط لأحرر نفسي ..

ووصل قبيل الفجر ... ورابط بسيارته عند مدخل القرية ...  
وجلس ينتظر ... لم يعرف أن النوم قد غلبه إلا حين لمست تلك  
اليد في كتفه تهزه ليستيقظ ...

فتح عينيه ... وحملق في الوجه الذي انحنى فوقه ... وتسمر  
ذاهلاً ... بينما هتف الآخر ..

- ماذا أتى بك إلى هنا؟  
- انتظر ... ألم تتصل بي من القاهرة في منتصف ليلة أمس؟

- كيف وأنت تعلم أنى هنا منذ عشرة أيام ولمدة شهر كامل ...

- إذا لم تكن أنت .. فمن يكون؟ ..

- ربما أراد أحدهم أن يداعبك ...

- ألم تر «س» هنا؟ ...

- بل سمعتها ... اتصلت بى هاتفياً من أسوان تشكوك  
إلى ... ويبدو لى أنها محقة ..

... فى طريقهما إلى الفندق ... كان يفكر جدياً فى أنه لو  
نام ساعتين ثم سافر .. فإن يستطيع أن يصل إلى أسوان قبل  
الفجر .

كلمات من دفتر قديم :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه

وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا

«قيس بن الملوح»

## أرانى!

أرانى وقد ولدت فجر ذاك اليوم فأخطو على جسر  
الاكتشاف ... وتبهر عيناي أضواء نجم قديم انفجر فى السديم منذ  
قرون ولكنه مازال يومض ... نبضاً فى رحم الكون بتهياً لميلاد  
جديد ..

وأرانى نائماً فى حضن ليلة قمراء ... تهدهدنى بين ذراعى  
فجر مطل ... تصطبغ جبهته بدم قرمزي يكرس المولود الذى يدرج  
مدارج الشباب المبكر ...

وأرانى قد لهثت جرياً وتصيببت عرقاً وأنا أصعد التل ... تمتلئ  
الأوردة والشرابين بدم رجولة طافحة يمكنها أن تحملنى إلى القمة  
وعلى كاهلى أثقل الأحجار ...

أرانى أنشبت بنحيوط شمس غارية تتلق فى بوتقة الانصهار  
عند حافة الغسق ... يلتقى الساخن بالبارد ... فيتجمد ويتقلص



ويحول الجمرات إلى كرات من رماد مبتل ...

وأرى الدائرة مفتوحة ... لها طرفان ... لم تغلق بعد ... وكنت  
أحلم بصيرورة دائماً من خلال السباحة في منحني الدائرة ...  
حيث تلتحم النهاية الأتلة ببداية وليدة ...

أخشى ما أخشاه أن تتوقف الحركة الخنومة ولا تغلق الدائرة ...  
فحنما سأسقط من أحد طرفيها ...

... أنا مصاب « بفوبيا » الخوف من السقوط ...

أحياناً أطل من شرفتي العالية ... وما إن نظرت إلى أسفل  
حتى هاجمنى الدوار واخترفتني رغبة مجنونة في القفز إلى  
الشارع ... وفي اللحظة الأخيرة أتشبث بالسور الحديدي وأتراجع  
إلى الخلف حتى أسقط على ظهري ... أكره الدوار والغشيان  
والأمور الوسط والبين بين ...

أنشد عالماً من الصدق .. وإن شوه الصدق كل الوجوه ...

أرئو إلى زمن قد لا يأتى ... ولكنه يتحقق في احتمالات  
الإمكان ... لحظة شرود منفصلة عن حكم الميقات ...

زمن يحتفل بالذكرى السنوية لانقراض آخر المخلوقات الطيبة التي  
أذابت شمع الأجنحة تحت الشمس فدقت أعناقها ...

أضع صورتي في إطار على الحافة الرخامية للمدفأة في  
الشتاء .. وأسقط عليها حزمة من ضوء أزرق .. ولكنى لا أنظر  
إليها ... فأنا أعرف الملامح وأملها وأحياناً أكرهها ...

وغداً سأقيم حفلاً لإزاحة الستار عن تحفتي الكبرى ... أرى  
من الآن صوراً مستقبلية لنظرات العيون تلمع بالحسد ...  
وناهدات الصدور وهي تنفث غلاً ... أرى ابتسامة وحيدة تصفق  
وتطرب وتذرف دمع الانبهار ...

ابتسامتك أنت ... حين أزع الستار .. وتطل عيناكى لتضىء  
الغبش الليلي ...

أرأى هناك معلقاً بين جفنيك ... متوسداً وجنتيك ...

أرأى في عينيك بارقاً من نور ...

أرأى فيك ... أرأى أنت ...

أنظر في المرأة ... أرى الدائرة ... يتحرك طرفاها ...  
يقتربان ... يلتقيان ... تغلق الدائرة ... وأغلق عيني .

كلمات من دفتر قديم :

لتعرف كيف تحب يجب أن تعرف كيف تكره ...

فكراهية الشر .. تعلمنا حب الخير ...

## غربة

اليوم عدت وحدى! ...  
لم يكن لدى متاع ... وانمحت من ساعتى كل الأرقام ...  
وانكسرت العقارب ...  
فقط .. كان المكان! تعرفينه ...  
نفس الشرفة ... نفس البحر ... ونفس الركن الذى شهد  
الأمسيات وأبلى خيوطها فجراً ... وأبهتها عند طلوع النهار ...  
هنا تحول الزمن إلى مكان ... تشكلت الألوان على جدار  
اللحظة ... فحولتها إلى أثر من حجر منقوش وأبقتها وشماً لا تراه  
إلا عيناى! ... وكانت اللحظة قد أصبحت سفراً ملوناً بألوان  
الذكريات ...  
بنت الذكريات مدينتها فى القلب وجعلت للمدينة باباً يربض

أمامه أبو الهول بسؤاله الملتزم وأسراره المطلسة ... ولأنى صاحب  
السؤال فقط خطوط ... ابتسم لى أبو الهول وألقى السؤال ...  
وهو يأمر بفتح الأبواب ..

ولكنى نسيت الجواب ...

لم أستطع دخول المدينة ... ورحلت ... كان الطريق طويلاً ...  
وكنت حافى القدمين ... أميال ، وأميال ، من الصخر المسنون ...  
أنشبت مخالبها فى لحمى ... فكتبت بالدم سطور غربتى ...

أفلتت الغربة من حساب الزمن فلم تنته تجسدت «مكاناً»  
فأصبحت هى العالم ... أجوبه من أطرافه الأربع لأجده كلما  
فررت منه! ينست من البحث عن نهاية كما نسيت البداية فدرت  
مع الدائرة ... واستسلمت لقدرى ...

رسمنى قدرى فارساً لعابرى السبيل! باركنى ... ولمس بسيفه  
كتفى وأمرنى :

- امض وإياك والسؤال عن المصير! ..

لم أسأل .. ولم يكن رحيلى بحثاً عن مصير ...

كان بحثاً عن رفقة ... عن دفء مخبوء فى قلب وحيد ...

عن زهرة تشق الصخر فى عرض الطريق ...

والطريق يصعد إلى ذروة يغطيها الثلج وتعصف بها الرياح ...  
ولم يعد على كتفى دثار ... وتمزق الثوب القديم ..

رثت غلالات الصيف وموسم الأمطار يحلق فى الأفق ...  
وقريباً يأتى ... ولم يعد لدى ما أخفى به عربى ...



لم يبق غير الهزيمة ... فعابر السبيل لا يملك سيفاً ... والملاح  
الشارد أضاع سفينة! ...

واليوم عدت وحدي! .. أكفك الدمع وألق الجراح ...  
عدت ولا شيء بكفى غير قبض الريح ... ونثار من غبار السفر .  
لم تكونى هناك ...

فقط كان المكان ...  
بالنظرة واللمسة يضحج بالذكرى ... يمور بالحياة ... يعود الزمن  
ليسكنه ...

نعود اللحظة نبضاً فى الجماد ...  
أراكى وأرى النجمات فى عينيك ... وأسمعك ، فى القبرة  
والشحرور والكروان ...  
أستعيد الرفقة الدافئة ...

لا أعبأ بالروهم ... لا أخشى السراب ...  
أشعر تماماً أننى لم أعد وحيداً ... فالمكان «معى» ...  
والمكان حقيقة ...

وحيث يكون للمسافر مكان ... لا تكون غربة .  
كلمات من دفتر قديم :

الشجاعة بلا ذكاء : حماقة  
والذكاء بلا شجاعة : حكمة

«كونفو شيوس»

## نـ

فى الصيف كان الدرب ظليلاً ... رغم شمس حزينان  
المتوهجة ... وبقع الضوء والظل تترامى .. متناثرة على الممشى  
حيث كنا نسير بخطوات الدفء النشوانة ... إيقاعات الخطو  
تغنى ... ترفص ... تهزج على أوتار القيثارة المشدود ...

وكان العطر يتموج فى نسيمات كسول ... يتشاقل ...  
يتلصق ... يتكشف بنضج الزهور التى تفتحت فى ربيع سابق ...

لهبت الأحاسيس الخجلى ... تقافز نبضها ... تدفقت فى الشرايين  
رحيقاً من شهد وردى لرتشفناه قطرة قطرة ... جرعناه سيلاً ... فاض  
من أشداقنا ... بلل صدورنا ... تبخر عليها ... صعد رذاذا لرجاً ...  
وتضبيب فى سماء تموز ... وسماء تموز لم تكن زرقاء ...

... كانت ترتدى غلالة موهة ... ترقد بها وسنانة على  
حافة البحر ...

وبحر تموز لم يكن أزرقاً ...

كان يغلى بتيارات العمق فيلفظ رماله وأعشابه الطحلبية  
الحمراء ...

لم يكن وحده! العالم كله كان يفور ... كان يضج ... ويعزف  
موسيقاه على آلات النفخ النحاسية يضبطها إيقاع أفريقي ...  
أمازونى ...

كان اللحن «خلاسيًا» ... كصرخة بحار زنجي يغنى لغادة  
شقاء فى حانة منسية على شاطئ «الكاريبي» ...

كان موسماً للحب الساخن والأحلام المرسومة وشماً على  
المواعيد والصدور ... كان حياة ...

تحبها .. تكرمها ... تتناغم معها ... أو تتنافر ... لا فرق  
هناك لأنك تحياها ...

أحدثك أيها الهامس فى صدرى وقد أمسى «أيلول» يللملم آخر  
أنفاس الصيف ... تاركاً على سور الشرفة زهرة ذابلة الخواف وسلة  
كرم خاوية ... وكأس به فطرة ... وقنديل به بقايا شمعة ...  
وقيثار وحيد الوتر ...

وغصّة «تشرين» تلمس شغافك ...

لمسة من مخمل رمادى تهدد مكنن دمع فى الأحداق ...

أصبحت الأهازيج الصيفية الصاخبة ... مجرد رجع  
للصدى ... وقطرات الندى الدافئة فرات ثلجية ...

أضحت لقاءات الليالى بعضاً من ذكريات ... سطوراً من

حكايها بلل الدمع وريقاتها فانطمست الحروف وبهتت الكلمات ...

أقبل موسم البحث عن «سلوان» ...

... لانسيان! ...

البحر عاد أزرق ... والسماء خلعت غلالات الضباب  
الحريرية ..

لم يبق إلا الرماد ... عيداناً من الظلال تتقاطع على الدرب مع  
خيوط المغيب ..

ورعشة خطرات وحيدة تدرج على الشرفة المهجورة ...

ورجفة دمع تهفو إلى لقاء ...

ودغدغة الحنين فى قلب مرهق الصبوات ...

... وعلى الوتر الباقي فى القيثارة ... تتلمس أصابعى أصداء  
الأغنية القديمة ... يغمرنى الحزن ...

أغص بالأحزان ...

أبحث عن عود ثقاب ...

أشعل العود الأخير ... أوقد بقايا الشمعة فى القنديل ...  
أمسح بيدي تلك الدمعة حتى لا تطفئ ذبالة المصباح ...

كلمات من دفتر قديم:

الحقيقة تبدأ بحلم ... والحلم يبدأ

بعيون مغمضة ... لهذا فنحن نحلم

بالحقيقة ولانراها!



## طيفاً!

اصفر الضوء للحظة ثم احمر...  
توقفت السيارة على حافة الخط الأبيض... وانساب عبر  
التقاطع رتل من السيارات يتدافع أمام ناظريه...  
مال برأسه نحو زوجته دون أن ينظر إليها وهمهم بضيق:  
- إشارة طويلة! لن نلحق بموعدا...  
وبنفس اللهجة الروتينية التي ظل يسمعها طوال زواجهما...  
همست!  
- لا تقلق... سينتظرونا!..  
لم يعقب وشغل نفسه بتأمل المارة المهرولين في عمر المشاة..  
وفجأة نصلب في مكانه وقد انتبهت كل حواسه... أنه هو..  
- من؟... قالت الزوجة!...

- لا أحدا!... أجاب هو... خشى أن تعاود السؤال ولكنها لم  
يهتم... راح يتابع من رآه على الضفة الأخرى من الطريق...  
ولحظة وهو يدخل المفهى الكبير على ناحية التقاطع... تملكته رغبة  
فهريّة في اللحاق به!... التفت لزوجته...  
- أسرعى قبل النور الأخضر... وقودى أنت السيارة واذهبى  
إليهم... وسالحو بك قبل موعد العشاء...  
وقبل أن تجد الفرصة للاحتجاج أو التساؤل فتح الباب المجاور  
وانزلق إلى الطريق! انبثق النور الأخضر... وتعالى خلفها  
صرخات أجهزة التنبيه من السيارات التي رقت خلفها... كانت  
قد أتمت الوصول إلى مقعد القيادة... وانطلقت وهي تفرغ ضيقها  
وغيظها في كلمات لم يسمعها أحد...  
... عند النافذة العريضة للمقهى وجده هناك... وحده...  
اقترب منه حتى وقف عند حافة المائدة...  
- أخيراً وجدتك!...  
رفع الآخر رأسه وشمله بنظرة استغراب باردة:  
- عفواً... أتعرفنى؟..  
- لعلك لم تنس... أنا رفيق رحلتك بالفطار ذلك اليوم منذ  
خمس أعوام..  
- أسف... أراك تخلط بينى وبين شخص يشبهنى...  
- كلا... أنت هو... صررتك المنطبعة فى عيني لم تتغير...

قال مهرونا عليه : ربما ولكنى لا أنذكرا

جلس أمامه وراح يحدثه بتدفق حار :

- إذا فساذكرك! .. كنا لمجلس متجاورين وجاء مفتش القطار ..  
واكتشفت ساعتها أن حافطتى قد ضاعت منى وبها تذكرة الركوب  
وكل ما معنى من نقود ...

- تحدث أمثال هذه المفارقات لأناس كثيرين ...

- ولكنك تكرمتم يومها فدفعت عنى قيمة التذكرة  
والغرامة ...

- إذا فقد أتيت عملاً طيباً فى حياتى المليئة بالأخطاء! ...  
ولكنى مع ذلك .. لا أذكرا!

- محال ... فقد أعطيتك بطاقتى .. وظللنا نتجاذب الحديث  
طوال السفر! ..

- سيدى : هناك دليل لا ينقض على أنك تحسبنى شخصاً  
آخر ... فانا لا أحب السفر بالقطار ولم أركبه منذ كنت طفلاً! ..

أحس بالدماء تصعد إلى رأسه ... واحترار بين إحساس  
بالخجل وإحساس آخر أكثر مرارة يومه بأن الرجل يسخر منه  
ليله ... أو يعيث به ...

أخرج من جيبه النقود وألقاها على المائدة ...

- أنا لا أشك لحظة فى قوة ذاكرتى! وأيا كانت أسباب إنكارك  
فهاهى نقودك ولست مدينا لك بشيء ..

- أنت رجل منجبول! ..

- وأنت صقيق ...

- هاهى نقودك ...

أزاح الآخر النقود بحركة احتقار ... فسقطت على الأرض  
وفقد هو أعصابه ... وهناك سأله زوجته : ماذا حدث لعينك ...

رفض أن يجيب ... ولم تكرر هى السؤال .

كلمات من دفتر قديم :

تصدق دموع المرأة إذا أحبت ...

ويكذب الرجل إذا أنسم لها ..

أنه يصدق هذه الدموع ...



## كذبة

نظرت إلى العلبة الملفوفة بالورق المزركش ... ثم إلى الرسالة المرفقة ... وابتسمت لنفسها ... فقد ربح الرهان ...

كان الرهان بينها وبين صديقتها بالأمس ... حين هزعت إليها تسرد لها وقائع اللقاء العاصف بينها وبينه ...

- لقد عرف كل شيء! .. لا أعرف من أخبره! .. توصلت إليه كي يخبرني ولكنه رفض واتهمني بأنى أحاول أن أهرب من المواجهة إلى مسلك فرعية .

- لعل الحق معه .. فليس الهم فعلاً من قال .. ولكن .. ماذا قيل! ..  
- وهكذا كان ... لقد عرف ...

- كان غاضباً؟ ..

- كلا ... ما به لم يكن غضباً ... كان شيئاً رهيباً لا أجد كلمة تعبر عن حقيقته ... كان انسحاقاً ... أو اشتعالاً بلا

لهب ... أو تزيقاً لكل مظاهر الحياة .. أو لعله كل ذلك فى حالة واحدة ... ربما خيل إليك أنه قد انفجر ثائراً أو حطم الاقتراح أو صب على جام غضبه ولعناته! ...  
- أو لم يفعل؟ ..

- ظل مكانه صامتاً ... شاحباً ... لا ينبع عما بداخله غير شعاع من بريق ينبعث من عينيه كومضة يرق تخرق السحب الجاثمة فى ليلة شتاء عاصفة ... وطفقت أسأله عما به ...  
وأندفق أمامه قلقاً ولهفة ... وظل يرمقنى بتلك النظرة التى نفوس فى صدرى كالسكين ... وأخيراً .. تكلم ... خرج صوته برنينه الأجوف كمن يتحدث من بشر لا قرار له : لماذا كذبت على؟ ... ولحظتها سقطت كل أحجار الدنيا فى أعماقى ..  
أدركت ألا جدوى من الإنكار ... وأنه قد عرف ... فقد كان ما عرفه مسطوراً فى نظرائه ... مرتجفاً مع ذبذبات صوته ...  
- وماذا فعلت؟ ...

- وماذا كان يوسعى أن أفعل؟ ... انهرت باكية ... كنت أعرف أن دموعى تجرده من كل أسلحته وتحول لحظات قوته إلى استسلام كامل ... ولكنه لم يعبأ ... ظل ينظر إلى نفس الطريقة ... لم تزد فى نظره إلا التمعاعات ساخرة حولت دموعى إلى قطرات من ثلج ... جربت حيلتى الأخرى فشئت عليه وصارحته بأن ما كان فى الماضى قبل أن أعرفه لا يخصه فى شيء ولا يحق له أن يحاسبنى عليه ...

- منطق لامراء فيه ... ولا بد أنه أنعمه؟ ..

- زادت قسوة السخرية فى نظره وقال : «لا يخصنى ولا يحق لى

مطالبتك بحساب عنه... ولكن لا بد أن أعرفه... ومنك...  
لأن ماضيكي جزء منك مثل حاضرك... ومن حقى أن أعرفك  
كاملة... فلست أحب نصفك دون النصف الآخر...

- وهذا أيضاً منطقاً ..

ولكنى نهضت غاضبة وتركته بعد أن أعلنته أنني أرفض شكه  
واعتبره إهانة لا تغتفر...

- لقد أخطأت... وأعتقد أنك قد فقدته؟! ..

- بل فعلت الصواب... فأنا أعرف قدر حبه لى... وأعرف  
أسلوبه فى استرضائى... ومسترين... سيرسل لى هديه...  
ورسالة اعتذار....

أمام صديققتها وبنشوة الانتصار... فضت غلاف العلبة...  
ومظروف الرسالة... أما العلبة فقد كانت تحوى وردة حمراء...  
وفى الرسالة... كلمات قليلة:

«كيف احمرت الوردة؟... وداعاً...»

عرفت فيما بعد أن الورد كان كله أبيض اللون... وأحب البلب  
وردة... أشفق عليها من الزبول فى ليل الشتاء البارد فضمها بين  
جناحيه... فغرست أشواكها فى لحمه حتى امتصت كل دمائه  
لتدفئها... وفى الصباح... كانت الوردة حمراء... وكان البلب  
صريعاً...!.. هكذا احمرت الوردة... ومات الحب.

كلمات من دفتر قديم:

« لا تقا تل معارك الآخرين وغريمك ينتظر أمام بيتك».

«كونفوشيوس»

## مفرداً!

رأه لأول مرة ذات مساء! ..

كان الكون قد غرق فى التماعه الرماد الخادعة!.. فبدأ كشبح ألفتة  
الأمواج... من جوف أسطورة منسية غرقت فى لجة قديمة!...

توقف عند السور الحجرى وراح يحملق فيه... كان يتراقص عند  
مرمى الأمواج... طيفاً شفافاً... كان يرى من خلاله مياه البحر  
تتلاها وتشر حولها دوائر الفضة المتوترة تحت أشعة الشمس الغارية...

فرك عينيه (ربما كان وهماً... أو شيئاً كالسراب)... أحس  
بحتمية نفسية تدفعه لأن يقترب... فاقترب... ولكنه جرى  
هارباً... لم يخطف... كان طيفه يعدو فوق الرمال المبتلة ويترك  
أثار أقدامه الخافية لتتجمع فيها مياه الموجة الراجعة...

... ربما خيل إليه... فالوحدة... والأحزان... تخلق أنواعاً  
من المرئيات قد «لا تتحقق» ولكنها «ترى»! ..



عاد من حيث أتى ... وانكب على ليلته يراوغ ذكرياته ويحاول  
أن يدفنها في عمق الفراغ ... وبينما كان يمارس لعبته سمع  
الدقات ... قربه ... على زجاج الشرفة المجاورة ... والتفت ...  
كانتا هناك ...

عينان تلمعان في الظلمة الساجية كقطعتي ماس تبرقان على  
اتساع محجريهما بنظرة ماجنة ... وتحتهما ذلك الأنف الأفتس  
الذي ضاع من ذاكرته كما ضاعت كل ملامح الماضي - وتحت  
كانت شفتان منفرجتان عن ابتسامة! لا ... بل ضحكة تملأ  
الأشداق ... وإيماءة من رأس نحيل بعلوه ويحيطه شعر غزير ...  
هرع للأبواب يفتحها ... لكن الطيف كان يجرى ... ويشير له  
ليتبعه ...

على الرمال مرة أخرى ... وفي ضوء قمر مكتمل ... راح  
يواصل رقصته ... وفي يده هذه المرة مزمار ينفخ فيه ...

تخرج تلك الأنعام لتحمله إلى بلد بعيد ... بلد كان كثيراً ما  
يراود أحلامه حين كان طفلاً ... (ساحرات الغابة القصيرات  
يلبسن طراوير مطرزة بالنجوم ويحملن وجوه أطفال مكتنزة تضحك  
في براءة حنون) ...

ارتجف بنشوة عارمة تخللت مسام جسده فاستلقى مخدراً على  
الرمال وراح يتابع بلهفة عرض شبحه الراقص ... وتناهت إلى  
سمعه نبرات أمه تنقص عليه حكايا الأميرات والشطار وتمد بيدها  
الباردة على جبينه الملهب ...

- ثم يا ولدي كي تلحق بالعرس للعودة! ...

تكسرت الرؤى تحت أجفانه المطبقة وانتظمت أنفاسه ...  
و ... في الصباح أيقظته أشعة شمس تدغدغ عينيه ... ففتحهما  
ليرى الشاطئ كما كان ... خالياً ... تصفر في فضائه ريح خريفية  
عابثة ...

تلفت يبحث عنه ... ولكنه لم يكن هناك ... ولأول وهلة  
تصور أنه كان يحلم ...

فكرة الحلم تبدو بعيدة ... بل كانت مستحيلة ... فقد وجد  
على الرمال بجواره ذلك المزمار ... مذكراً أصابع ترعشها الرهبة ...  
لمس الجسم الأسطواني النحيل ... كان الندى أو رذاذ الموج  
يببله ... وبرفق أمسك به ... تأمله ... أداره بين أصابعه ... ثم  
رفعه إلى شفتيه ...

تنفس بعمق ثم رد زفيره إلى المزمار ... لم يسمع شيئاً ...  
ظل طوال يومه يحاول أن ينطق المزمار ... ولم يفلح ...

فقط حين مالت الشمس ثم سقطت خلف الأفق ... خرجت  
نقمة طويلة حزينة ... طفرت الدموع من عينيه ...

وغشيت عينيه غلالة تترجرج ...

ومن خلالها عاد الشبح ... يتقافز فوق الأمواج ... ويمد إليه  
بديه ...

ألقي نحوه بالمزمار ... فالتقطه ... وضعه بين شفتيه ...  
نحولتا إلى منقار ... رفرف بزعابيه ... تحولتا إلى جناحين ...  
وعلى كتفه حط العصفور ...

لؤلؤتى سر فى صدر الأندار! ضاعت منى يوماً حين لهوت  
بقطعة زجاج هشة!

لم أعرف أن اللؤلؤ يسكن فى الأعماق... وأن الشيطان  
المهجورة لا تحمل غير بقايا العشاق!  
والعشق قيمة أيامى!...

أيامى طافت بكل فيافى الأرض المجهولة عاشت كل حكايا  
الأمس... رشفت كل كنوس الصبر... غزلت كل شبك  
الصيد... لكنها لم تعثر يوماً على لؤلؤتى المفقودة..  
... هاقد عادت ...

همس الصوت!..  
عزفت فى الآفاق البعيدة أوتاره قيثار أرعن... من كل زوايا  
الكون هتفت أصوات «الكورال».

هاقد عادت... هاقد عادت...

حدثنى الهاتف فى صدرى: لمن هى عائدة؟  
عائدة لى!..

صرخت بها فترددت الأصداء كطبول الحرب!..

ليست حرباً يا أسرنى!.. ليست إلا ضربات القلب!  
تخفق... تخلق ألف حياة... تنبت فى الأرض العطشى عروداً  
من ريحان أخضر... يزهر فى ظلمات الليل... يثمر لؤلؤة  
بيضاء...

## عائدة

من نافذة الصدفة جاءت... أطلت... فى أحضانها يبرغ قمر  
صيفى... على جبينها تشرق نجومات فجربة... وفى شعرها  
يتدفق نهر ليلى..

همس الصوت بداخلى: هاقد عادت!..

أسكت الصوت بنبرة احتجاج...

- العائد كى يعود... يجب أولاً أن يذهب!.. وهى لم  
تذهب... لم تكن قبل اللحظة!

ونظرت إليها... كأنى أنظر للمرة الألف... كأنى أبهرت  
بزورقى فى هذا البحر طوال العمر...

عينها بحر حنان صاخب! وفى أعماقها طفل يبحث عن  
صدفة... يغوص حتى القاع... ينبش فى رمل الأغوار...  
والصدفة يحملها التيار...



يشرق فوق البحر نهار ... نشهده عند السور الأزرق ... غلاً  
بالكفين شعاع الشمس الخجلى ذات صبحاح ... نغسل  
وجهينا ...

لكن السفن المارة تطلق صفارات الرحيل ... يفزعنى  
الصوت ... أدفن رأسى فى خصلات الشعر ...

تهمس فى أذنى : سأعود ...

أمسك بصحيفتى الصباحية ... أقرأ طالعى ...

نجوم اليوم تقول ... اليوم فراق ...

اليوم رحيل قد سطر فى الأفلاك ...

وغداً تتوارى لؤلؤتك فى صدفة ... الصدفة ترحل ... تغتسل  
بماء الأعماق ثم تعود ... تطرحها الأمواج بين يديك ... تسألك  
كلمات السر ... أعرفها ...

أهمس فى أذن البحر ... بالاسم المسحور ... ينهزم العلسم ...

أكتب على الرمال طالعى ...

أنا أنتظر ... وهى عائدة!

كلمات من يوميات قديمة :

يا لائسى فى هواه والهوى قدر

لوشفك الوجد لم تمزل ولم تلم

«أحمد شوقى»

وعدا!

أكان وعداً؟ ...

أم كان بعضاً من سراب؟ ..

يوهم الصادى نفسه بأن الصحراء قد هطلت بها الأمطار فأينعت  
قفارها وارتوت رمالها من قطر الحياة فاخضرت وأنبئت زهورها ...  
ونلوح له جنة موعودة تبدى مفاتنها وتدعو الظامى كى يروى  
غلته ... والجائع كى يقيم أوده ... والتائه الرحال كى يلقي  
عصاه ... ويجرى الواهم إلى جنته ...

تتدفق فى شرايينه دماء الأمل البارق فى المدى ... فينضو عنه  
أكفان يأسه ليولد من جديد ويحبو بقوة الميلاد إلى درب الفردوس  
المائل عند الأفق! ..

... يحبو ولا يصل ... يدعو ولا يجاب ... وتظل الرحلة بلا

نهاية ... كحكاية المهد تبدأ في ليلة وتكرر كل ليلة ... أو  
كحكايا شهر زاد ... تغزل من الخيوط خيوطا لتتصل عبر ألف  
ليلة ... أو ألف عام ... تنسج أحلام السندباد وأساطير العشاق  
والندمان في ليالى بغداد ...

تلك كانت رحلتى ... وكنت أنت الميعاد .

كأنما عشت عمري أبحت عنك في صحراء ... حين يشق بى  
المسير وأجشو على رمال الجمر وأكاد أسلم رأسى لصدر الأقدار  
الصخرية وأغمض عيني على ملح الانتظار ... تبرق بين أهداى  
لمعة السراب ...

وكنت أنت هناك ... جنة الوهم الجميل ...

جئت فى لحظة اليأس على محفة ليل قدرى أفلت من حساب  
أزمن الصارم وأنبت لى فى قلب الفجر زنبقة بيضاء ...  
رأيتها ذات صباح ... تتوسد حلمى عند السرور ... فاختفت  
الصحراء ...

... أينعت الواحة حولى وندفق فيها نهر ضياء ... ألقىت بحلمى  
المكدود على صدرك ... هدمت سنين العمر الضائع على مرجك ...

وبين يديك نثرت نجومى المخبوءة فى صدرى ... شذر من قلب  
لم يعرف يوماً - قبل اليوم - كيف يكون العشق مصيراً ... قدراً أو  
سظراً يختم كل سطور العمر .

مددت يدي ... فتحت كفى ... طلبت من العرافة أن تقرأ ...

قالت كفك لا يقرأ ... لكنى أقرأ عينيك ...

فى قلب النظرة تقطن صاحبة الوعد ... قد تعطى الجنة لو  
شاءت ... أو تعطى الوهم ...

أغمض عينيك طويلاً واحلم بالفردوس!

أطبقت جنونى ... وكنت هناك ...

أعرف تلك البسمة على شفئك ... أقرأ فيها كل نبوءات العرافة ...

واسمع تلك الكلمات ...

- كم من أعوامك عشت طريد الفردوس المفقود؟ ..

قلت ثلاثاً ...

قالت تكذب ...

قلت كثيراً ...

قالت تهرب ...

قلت لعللى لا أعرف!

قالت تعرف ...

.....

هى لم تعرف أن وعوداً قد بذلت للظامى والجائع والتائه فى  
البيداء ... ليس لكى تتحقق ... ولكن ... فقط لكى يواصل المسير ...

كلمات من دفتر قديم :

سألنى : المرأة متى نحب؟

أجبت : حين لا تجد ما تفعله!



## قل

رأيت ولم أراه... وكان حتماً أن أراه...  
فقد كان توأم تلك اللحظة حين دقت أجراس الموعد والتفينا  
على الاعتبار...  
كان معك... كان خلفك... كان ظلك!..  
... كان أول ما رأيت... ولم أرفيه سواك..  
خلف كتفك كان هناك.. يرنو إلى نظرة ساخرة...  
يتحدى... يلتقي بسؤال...  
كنت أعرف السؤال... وأخشى الجواب! فالأمل يبقى دائماً  
حين تظل الأسئلة بلا إجابات!  
والياس يطل حين تعرف النهايات!..  
لكن سؤال الظل كان يبحث عن بداية... ربما لأنه يعرف ما  
هوأت... وربما لأنه ينحطو على أرض بلا مسافات... وربما... وربما...

يقين الحب يساوى كل الاحتمالات!.. والظل تخالطه الأشياء...  
لم أعرف أيكما الظل وأيكما القابض على كنه الجوهر والمتحول  
فى الأشياء...  
لم أسأل... ولعلنى أفعل بعد فوات الوقت... فأخطو فوق  
خطوط الحذر الحمراء...  
وتلك خطوط تعرفنى... تعرف خطوة أقدامى...  
تعشقها... تدمنها...  
وأنا أرسف فى الأغلال العمياء... أعشق حتى عشائى...  
لا أندم لحظة... لا أنظر خلفى... لا أبكى على اللبن  
المسكوب... لا أرشى فردوسى الضائع...  
أقبل كل الأخطار... أدفع جزية ما أختار...  
أشعر صدرى للأقدار... أحمل تبعه أخطائى...  
قد تلدغنى لدغة غدر... أو تلفحنى هبة نار... قد يرهقنى  
طول السير..  
لكنى لا أطلب عفواً... لا أتلو ورد استغفارى...  
لن أسأل ظلك ماذا يقول!! فأنا أعرف!  
أعرف أن الماضى يكبح خطو الحاضر... يلقي فوق الدرب  
بكل الأحجار...  
يرمى ظلال الليل القائم فوق شعاع الشمس القادم... ذات نهار..  
يرجولو يغمض عينى...  
أو يسدل حول القلب ستار...  
أو يسدل حول القلب ستار...

لكنى أركل كل الأحجار ... وأمد يدي لأمزق كل الأستار ...  
لن أعطى ظلك عيناى ...

هما لا يريان سوى عينك ... وعيناكى ليست اعينا الظل ...  
عيناكى طريق ... أرحل عبره صوب المرفأ ..

والمرفأ يحتضن الزورق ... يغسله تحت الأمطار .. يرسم فوق  
الدفة نجمة ... يرشق بالصارى زهرة ... يكسر فوق شراعينا قنينة  
عطر ... ولنبحر ...

فالبحر حفى بالعشاق! ... يحمل فوق الموج سفينا  
للأشواق ... يرحل حتى يرسو فى الجذر العذراء ...

لكن البحر وليد يقتات على الأحلام ... يوسدها صدر  
الغد ... ينسيها خوف الأنواء ...

البحر يقين يكره ظل الشك ...

يكره أى ظلال ... يعطى سر شواطئه المسحورة للنسيان ...  
فلننسى ...

فلننسى حكايا الأمس ...

ولنخطو نحو المرفأ ... ننتظر الإبحار .

كلمات من دفتر قديم :

التفاحة كشفت لإسحق نيوتن الجاذبية الأرضية

وكشفت لأدم جاذبية من نوع آخر

فماهى؟

## سوار

كان عيون الدهر قد أغفت لحظة من زمان .! وكان الزمن نفسه  
قد أراح رأسه إلى صدر ساعاته الوسنانه ..

كانت غفلة ... أو كانت حلماً تجسد فى غفوة ...

أعرف أنتى لم أكن نائماً ... ولكننى ربما كنت أحلم ... أو لعلنى  
لم أفهم لغة ما رأت عيناى ... فقد رأيتها ... كانت هناك ...

عند منحنى الطريق الدائر حول البحر ... حيث تراجعت  
السنون فى ومضة برق لم تجهضها شمس النهار ... وانعكست  
ألوان الشفق الوردية على الجبين الأسمر ... لتمتزج الخنطة  
الذهبية بذوب شراب الورد القرمزى ... لون عرفته واصطبغت به  
سنوات فجرى القدم ...

اختلفت فى الصدر رفة جناح ... وخفقة جرح لم تقو عليه  
الأيام ...



ما زال الجرح طفلاً يلهو بفطرات الدم ويرسم بها على جدار  
القلب سهماً يخترق الشغاف... وقادتني الخطى كأسير حرب  
لا يملك الطريق... ولا يختار الاتجاه...

كنت أخشى الاقتراب! فاقتربت!...  
صار البعد خطوة... ربما لم تكن كافية لتنتزعها من رحلة  
شاردة في عمق البحر....

لم تلتفت حتى همست باسمها... أيقظها صوتي المرتجف  
بذبذبات طالما تهدت في أذنيها... فدارت نحوي وهي تهمس  
باسمي قبل أن تراني...

( روت شهر زاد في ليلة من ألف ليلة : وحين نظرت إليه ونظر  
إليها أورتته النظرة ألف حسرة ) ..

وما كان بي حين نظرت إلى تلك الحسرة... فلم تكن النظرة نظرة...  
كانت ذلك النبع الأخضر الذي اشتعل ربيعاً فأنضح مواسم  
العشق في يبادر الصبا... وصهر السهام على حروف اسمها ليذمغ  
بمسماها جبين العمر...

وعلى جبينى قرأت الحروف... فافتقر ثغرها بكرزتيه عن بسمة  
حواء التشبية... وزغردت نبرات صوتها:

- كيف جمحت بك خيول الأيام؟ ..

- وكيف اعتقلت أنت السنين؟ ..

- لعلك ترانى بعيون الأمس البعيد!

- وهل تربتنى أنت بنفس العيون؟ ..

- عرفت صوتك أولاً...

- كأنك لم تربتنى!

- أنا لا أرى سواك... وأعرف يوماً بعد يوم... بل أعرف كل  
يوم... ماذا أضاف الزمن إليك... لذا أراك كما أنت اليوم...  
وكان الدهر لم يفصل بيننا وكأنى لم أبرح تلك اللحظة التي  
جمعتنا... هذا أنا... فماذا عنك؟ ..

... نكست رأسى ولم أجد ما أقول...

تبدت حمرة الشفق... وأطل علينا المساء... وانسكبت  
خضرة عينيها على رماد البحر...

وتماوجت سمرة الذهب على جبينها الذى بلله رذاذ الزبد...

ومددت يدي أمسح قطرات الملح...

مست أناملى خصلات الكستناء تعابشها الريح... فألقيت  
عليها السؤال...

- لعلك حلم!

- وهل كنت يوماً غير ذاك؟ ...

- كأنك صنيعة وهمى؟ ...

- وبغير وهمك لا أكون...

أنقل الكرى جفنا شهريار... فأطبق عينيه على الحلم...  
حيث واصلت شهر زاد أوهامها المحكية...

كلمات من دفتر قدم:

يكذب الرجل أحياناً ليتخلص من مأزق

وتكذب المرأة دائماً لكى تقع فى نفس المأزق.

## مطر!

نسبنا لحظة! ...

أقلت منا الحذر! ... أرحنا رأسينا إلى كتف الحلم الوستان ...  
لم نسمع دقة الساعة ... لم نر الضوء الأحمر! ...

عللتنا الأمانى فقفزنا عبر الأسوار إلى الأرض المحرمة ... لم  
نقرأ تلك الكلمات المسطورة فوق الأبواب «لا يدخلها إلا الغافلون» .

وقد غفونا ... أطبقنا الجفون على رؤيا عصر لم يولد ... ونبوءة  
أسفار عاقر ... لم تنجب يوماً أو ليلة ... لم تكتب سطوراً أو  
كلمة ...

غنيا لزمان الصم ... ورسمنا لروحان للعميان!

ونسبنا لحظة ...

لا أكثر أبداً من لحظة ... واللحظة كانت حبلى بالسنوات!

كانت تحتزل المأساة ... تنفجر اللحظة ذات مساء ... فتضىء  
الليل بألوان الفجر الموعود ... تطوينا غلالات الهمم الرافض حول  
المصباح ...

في الرقصة نرحل عبر الأفاق! نهفو لزمان آخر ... نرنو  
لصباح ...

تنسى الأغلال المرصودة ... تغفل عن سر الظلم ... تتعلق  
بجناح العنقاء ... ونخلق ...

نعلو فوق غمام الأيام الموءودة ... فوق دروب العمر الحجرية!  
نسبح في الأجواز المسحورة ...

نبني قصرًا للأشواق نسكنه لحظة ...

لا أكثر أبداً من لحظة ...

فالقصر مجرد أرجوحة ... تترنح على جرف سحابة ... تتعلق  
بشعاع غارب ... والشمس تلملم دفء اليوم ... تسقط قصر  
الأوهام ... كالنورس يهبط من حالق ... يتردى بجناح  
مكسور ... يرتطم بقارب ...

القارب يبحر في لجة ليل ...

والليل جزيرة نسيان ... مرفأها يفرق في تيه اللحظة ...

في نفس اللحظة ... يطلع ذاك الفجر ... كمنار مكسور المرأة ..

لا يعكس ضوءاً ... لا يهدى القارب ...

فالفجر لأننا في غفلة - فجر كاذب ..



وتمر اللحظة ... تفجؤنا شمس مشنوقة! تغرس في أعيننا البقطة  
نعرف أن اللحظة كانت لحظة ...

لا أكثر أبداً من لحظة ...

كانت غنوة ... أو بعض سراب! ...

وسنقع من وهم غنيمتنا بذيول إياب ...

فلنجمع أشلاء اللحظة ...

قطعة حلم بجوار القطعة ...

ولنصنع منها تذكراً ... كزهور جافة نودعها صفحات كتاب ...

وحين نفوق في بئر الوحدة ... نسترجع ذات اللحظة ...

ذات الزهرة ...

نتسم عطر الأحلام ...

نقرأ سطوراً ... من سفر النسيان ... يتحدث عن عمر  
ضاع ...

في لحظة ..

كلمات من دفتر قدم :

الحب ما منع الكلام الألسنة

والد شكوى عاشق ما أعلننا

« أبو الطيب المتنبي »

## رسالة!

سرت لا أريد غير بقية الطريق! يصاحبني احسامي العنيد  
بأننى قد قطعت الكثير ولم يبق إلا اليسير ... فكلما تقدمت  
خطوة ألقيت بنظرة إلى الخلف لأرى الركام ...

تلال من الأيام والأعوام وأوراق الشجر الذابلة ... وأثار  
خطواتي تحفر في الأرض مسارب الدروب ...

ودروب الأمس تملؤها أوراق الذكرى ... عند كل رابية ... عند  
كل منحنى ... رشقت أقدارى ورقة ... عليها سطر من أسفار  
العمر ... والسطر يثرثر عن حلم قد كان ... قد كان ...

يفسح جرنى فعل « الكينونة » إذ يتعثر في أسمال الماضي ...  
يصبح « شحاذاً » يتسول بعض حقيقة ... يبحث عن مرآة  
مشروخة! ... ومرايا القلب تغطيها أحزان صماء لا تنبس ...  
لا تصدر أهة ...

تعلق عيناى بسطر لم يكتب بعد ... يتحدث عما «سوف يكون» ...

يبهرنى فعل «الكينونة» إذ يتعلق بالأنى بعد الليل ... يبدو بشيراً للفجر الموعود ... يصبح مثل نبوءة ... تطرحها الشمس على الأكام الجرداء .. تزرع أمنية الأيام النظرة ..

فى اللحظة أدركت الفكرة! ..

الفكرة يا أختاه أن رماد «الفعل» يغطى أميال الأحلام ... يطمس أشعار الحب بلون مغبر ... يحيل ربيع العمر شتاء ... بتكدر تحت الأقدام ... يملأ أيدينا ... يغمم منا الأعين والأفواه ...

ذلك أن علينا لم بقو على النسيان ... فالإنسان مخلوق «يذكر» ...

مخلوق ينسج حلماً من غزل الماضى ... كى يوهم نفسه بالميلاد ... فيدق بجوف الليل الأجراس تبشر ... ذات نهار ... أن اليوم وليد!

وعند حلول القبط أصيلاً تسقط أقنعة الأطفال ... تسيل الفطرات الشمعية من وجه عجوز ... تمتلئ التجاعيد دموعاً ... تكشف للواهم أن الوجه الأمرد قشرة ... تخفى وجهاً حجريا نقشته يده برموز فى لغة القدماء ... تلك هى الفكرة ...

والفكرة تبدو يا أختاه ... بعضاً من تهويمات حمقاء ...

فالفارس قد أعياه طريق الشوك ... فاقعى بجوار أيكة «سدر» .

يبحث عن لحظة ظل ... أو شربة ماء ...

أخذته بعد هنيهة سنة من نوم ...

أغفى وقد راح يطارد بعضاً من أحلام صباه ...

كان وحيداً ... لا يشاركه فى الأيكة غير رؤاه ... وهناك رآها ...

والبها كان بمد يديه ...

تلمس وجهاً نورانياً يشرق من حضن الآلام ...

تسمع صوتاً يهتف من غمر الصمت ...

فلتمسح عن مرآتك كل رماد ... وأنظر حتى تعرف قسماتك ...

راح بكلتا يديه يزيح غبار العمر ...

وفى المرأة ... كان هناك ...

طفلاً قد عاد ...

طفلاً تلقمه الدنيا ... قطرات من صرع رماد!

كلمات من دفتر قديم:

أنام ملء جفونى عن شواردها

ويسهر الخلق جرأها ويختصموا

«أبو الطيب المتنبى»



## بر

فى ليلى ... أكتب أشعارى ... وأثر فوق الأوراق بعضاً من  
حكاياتى! وأغنى وحدى ...

لكنى أجمع سَمَّارى ... وأعد الراح لندمانى! ... تأتبنى  
الرفقة من فيض الذكرى ... ونؤنسنى عرائس أحلامى ... لا  
أبقى وحدى!

أسدل أستارى فى الليل الشاتى! أبحث عن دفء مخبوء ...  
أسمع صوت حفيف الأوراق خارج نافذتى ... مازالت تدفع عنها  
الريح المثلوجة ... تغسلها قطرات الأمطار ... تجلوها للفجر الآتى ...

أشعل فى مدفأتى النار ... أشرد فى وهج الجمرات ...  
أسترجع قصة حب منسية ... تتشكل من شرر اللهب الراقص  
بعض ملامحها ... أنذكر وجهاً يتألق فى زمن صباى ...

وضفيرة شعر تتفايز فوق الأكتاف ... وحقيبة درس يضغطها  
ذراعاً الحلم إلى الأحضان ...

يأتى «نيسان»! ... وأزيع ستار الفصل «المقروور» ... أفتح  
نافذتى ... تتسلل ... نفثات زهرية ... أنفاس ربيع مولود ...  
اغترف بملء يديّ وأمسح وجهى ... أغمض عينيّ ... أسترجع  
تلك اللحظات ... لحظات القلب الراجف عند اللمسة ... حين  
تداعبه نظرات الحب الأول ...

أرنو للزهرة عند السور ... تتمايل تحت رفيف نسيم ليلى ...  
تذكرنى بعينيها ...

كم كانت تحمل من أحزان ... من أشجان ... كم لمعت بالدفق  
الأخضر كالفيضان ... كم كان ... وكان ...

لو كنا نعلم أن الفصل يقيم لا يأتى كل عام ...

وأن الشمس إذا طلعت لا تخطئ عدّ الأيام ... لو كنا ...

أكره فعل الشرط! ... أفتح أوراق الذكرى ... يطالمنى نفس الخط ...

كانت تكتب ... كانت ترسم ... كانت تمتنى لو لم يأت فراق ...

أطوى الأوراق ...

أودعها أدراج الصيف ... تتمدد كل الكلمات ... تستلقى  
فوق رمال الشط ... تتعانق ألوان العليف ... تنسل لونا لا يشبه  
كل الألوان ... يتوهج فى «الليل» الصيفى ... ينعكس بريقاً  
نحاسياً على خد أبنوسى ... يلتهب بدفء مدارى ... يغتسل  
بالأمطار فى خط الاستواء ...

تتكاثف أبخرة الغاب ... يتضوع عطراً وحشياً من أجساد  
تتراقص حول حراب ... والحلقة نسفر عن تلك السمراء ... يفتري  
الشجر المكتنز ببقايا شراب ... يتساقط في قطرات أجمعها في  
كفى ... أنثرها فوق الصفحات ...

تروى أحداث الفصل الحار ... تبتريها كلمات من «أيلول» ...  
هاقد أقبل برداء الحزن ...

تثقله خطوات الذكرى .. كمرابى يجمع ما أعطى ....  
يجلس صوبى محنى الظهر ... يرمقنى فى صمت ... أبادله  
بعض الكلمات ...

أساومه كى يهلى ليلة ...  
يهلى حتى الفجر ...  
أسأله كى تضى الوقت ...  
ماذا تلعب؟ ...

يخرج من طى ثيابه أوراق اللعب ... يعطينى ورقة ...  
أقلبها .. أقرأ ما فيها ...  
موعدنا الفجر!  
كلمات من دفتر قديم:

الذكريات تعبير مهذب يعنى  
فى الغالب «صحيفة سوابق»  
حافلة

## بالأمس!

بالأمس رأيت! ..  
لم يكن شبحاً من الماضى! .. كان هو نفسه ... صديقى الذى  
فقدته من دهر طويل ...  
لا أذكر على وجه الدقة كم مرّ من السنين! ... أذكر فقط ذلك  
اليوم الذى التقينا فيه لآخر مرة ..  
كنت أجلس على المقهى العتيق الذى شهد سنوات الرفقة  
والصداقة ومناجى الطموح ...  
جاء يسرع الخطى لا هتافاً ... وبادرنى وأنفاسه البهورة تلفح  
وجهى ...  
- أخيراً وجدتها! ...  
كانت عيناه تلمعان بريق لم أعده فىهما من قبل! ...  
- من هى؟ ..



رق صوته وارتجفت نبراته وبدا كما لو كان يغنى ...  
- حلم العمر يا صديقى! لن أصفها لك لأنى لا أجد غير تلك  
الأوصاف التى لا كتبها الألسن وبرمت بها الأقلام واستهلكتها  
قصائد الشعراء ... وكلها لا تنبئ عن الحقيقة ... وراح يومها  
يتحدث عنها طوال ساعات ... كان قلبه يرقص على لسانه  
ويتأرجح بين شفتيه متى أشفقت عليه!

كنت أعرف مدى ما يتمتع به من بساطة وما يغلف نظرتة  
للحياة من براءة ... وخشيت أن يندفع وراء مشاعره العفوية  
فيرتطم بصخر الواقع الذى يملأ الطريق دون أن يراه فهمست له أن  
يعيش التجربة بخطرو وثيد ويتحسس الدرب حذراً متمهلاً ...

وفوجئت به يبتسم فى وجهى ... وهو يرد بثقة :

- قلبى يصدقنى دائماً ... وسأبعه! ... غداً أنقدم إليها ...

ساورنى الفزع! توصلت إليه أن يتأنى ... أن يفكر ... أن  
يعطينا فرصة لكى نراها ونبحث ظروفها ونتعرف إلى ماضيها ...  
فأجابنى غير مكترث ...

- أخطبها أولاً ثم أترك لكم بعدها أن تنقبوا وتبحثوا كما يحلو  
لكم! ...

ومضى ...

انتظرناه فى اليوم التالى ... ثم فى اليوم الثالث ... ثم أيام  
أخرى كثيرة ..

لم يأت ... ولم نسمع عنه ...

اندفعنا نبحت عنه ... واكتشفنا أنه قد ترك مسكنه ...

واستقال من عمله ... واختفى ... عشرون عاماً كاملة ...  
نسيناه ثم نسينا أنفسنا حتى فوجئت به بالأمس ..

أمام أحد الفنادق الكبرى . حيث كنت مدعوا لحفل زفاف . توقفت  
سيارة فارغة وهبط منها ... ولولا أن هتف بى منادياً لما عرفته ...

رأيت رجلاً فخماً بين أصابعه المرصعة بخواتم اللاس يرقد سيجار  
كوبى هائل ... ومعه امرأة لا تقل فخامة ... وشابين فارعين ...

عائفتنى ثم قدمنى لهم كصديق قديم ... وقدمهم لى ...

- زوجتى ... حلم العمر الذى حدثتك عنه آخر مرة ...

غمز لى بركن عينه واستطرد مكماً ...

- ابنها الأكبر .. مهندس .. وهذا الأصغر ... طبيب ...

- أولادك؟ ..

- كلا .. أنهما ولداها من زواج سابق ...

بغمزة أخرى انحنى ليهمس فى أذنى ...

- كنت تريد منى أن أنروى وأفكر وأنتظر تحريراتكم ... ما  
رأيتك؟ ..

ضحكة غليظة مازالت تدق أذنى منذ الأمس ...

... آه ... ياله من صديق فقدناه بسبب خشيتنا عليه! ..

ويالنا من أذكىاء ... ومحنكين ... وعباقر! ..

كلمات من دفتر قديم :

الماضى كالكرة ... يبتعد عنك

بقدر ما تركله!

## فـر!

لم تكن رحلته الأولى إلى باريس ... ولم يكن هناك ما ينبئ  
عن جديد ... فقد أصبح افتنانه بالساحرة العجوز التي لانهرم  
أبدا مجرد عادة! ...

أجل! تعود أن يأتى ويترك نفسه للمدينة ... تأخذ يده وتقوده  
إلى حيث تريد ... ولم يسأل مرة: إلى أين ... فكل خطوة تؤدي  
إلى متعة وتفتح بابا من أبواب الأسرار ...  
وهكذا ترك نفسه هذه المرة أيضا وبحكم العادة ...

كان المطر يتصل في رذاذ مستمر ... دقائق ربيعية تربت  
بالدفء والشجن على صدره المكدود ... لتنسبه كل ما ترك وراءه  
في الوطن! ... وقد ترك أشياء كثيرة ولكنه لم يترك الوطن .. كان  
يحملة معه أنى تسير به قدماه ... وهاهو يتأمل الوجوه على  
رصيف الشانزليزيه .. حيث تعود أن يعثر دائما برفيق من  
مواطنيه ... وجوه كثيرة شرقية السمات ... ولكنه من باب

التحرز ينتظر أن يسمع اللغة ... واللهجة ... وبينما تدور عيناه ..  
تكملان رحلة البحث توقفتا بهزة المفاجأة لبراها ...  
وأحس لأول مرة بكلمة المستحيل تتجسد أمامه ... كائناً من  
لحم ودم ...

إنها هي ... لا توجد ذرة شك واحدة! ... ولكن ...  
الامر يتعدى المفاجأة والدهشة ليقفز إلى تخوم الجنون واللامنطق!  
ثلاثون عاماً ... طويلة ... حافلة ... مرت ويتمنى أن يراها  
مرة أخرى ... حارل بكل ما تتبعه قدرة البشر ... جرب كل  
الوسائل ... وسار على كل الطرق ... وجرى خلف كل الرموز  
التي يحفل بها قانون الاحتمالات! ... لم ينجح ...  
وحين أقعده اليأس اخترقه ببارق ضعيف من أمل ... فقد  
بقيت الصدفة ...

ولكن الصدفة تأخرت ثلاثين عاماً حتى تجسدت أمامه على  
رصيف مقهى في باريس ...  
هاهي ماثلة أمامه ... تماماً كما كانت آخر مرة ...

نفس اللهيبي الأخضر يشتعل في سمرة الحنطة! والرأس  
المرفوع ... والجبين الأشم! ... وحبثاكرز تفتران عن بسمه  
تأرجح بين الخجل والسخرية ... بلا شعرة بيضاء في الرأس ...  
بلا ثنية عمر في الجفن أو في العنق ... بلا خط في الجبين ...  
ووجد نفسه يهمس مرة أخرى: محال! ..

وكان المحال ببساطة أن تكون هي ... في نفس منها القديم ...  
حتى جاءه نفس الصوت القديم أيضا ... يهزج من خلفه: كأنك  
ترانى ... أليس كذلك؟



التفت في دورة كاملة ... وكانت هي أيضا ... فقط بلا  
جنون ... بلا مستحيل ...

التجعدات الدقيقة في ركني العينين ... وتهذلات خفيفة في  
الرقبة ... وجيبان تحت العينين يحولان البريق المشتعل ... إلى  
رماد أخضر ...

الصوت فقط بقي كما هو ...

أعاد النظر إلى المستحيل وارتجت في داخله دقات قلبه كطبول  
حرب تنذر ببدء الهجوم الأخير ... وفي لحظة ... انشق الليل  
الباريسي عن برقه الهام ...

همس بصوت لم يكن صوته :

- ابتك؟! ..

- أجل ... وأبوها يجرى اتصالاً هاتفياً وسيحضر حالاً ... ربما  
أعرفه بك ... في لحظات سريعة .. حكمت له قصة الصدفة! ...  
الابنة - المستحيل - مصابة بمرض عضال وجاء بها خلف الأمل  
الأخير! ..

وفي الصباح ...

كان على متن الطائرة العائدة للوطن ... لم يتحمل أن يفقدها مرتين!

كلمات من دفتر قديم :

المعرفة الحقيقية : أن تعرف

وتتغير! ... فالجاهل وحده من

لا يتغير مهما عرف .

(جوستاف لوبون)

## براءة!

سقط الظل على صفحة الجريدة فأحس أنه لم يعد وحده ...

كان قد سار طويلاً في ممرات الحديقة الرحبة باحثاً عن ركن قصي  
يختلي فيه بجريدته ... حتى وجده أخيراً في المساحة المكشوفة  
الجرداء حيث لا تقترب أقدام الأطفال وخطوات الكبار المتسكعين ...

أخرج جريدته ... وانتقى ذلك المقعد الخشبي المستلقى تحت  
شمس شتوية دافئة ... وجلس ليقراً ...

في الصفحة الأولى طالعه أخبار الأزمة الأخيرة في العلاقات  
الدولية ... وكان يكره السياسة طواها إلى صفحة الرياضة وراح  
يستمتع بقراءة ما كتب عن فوز فريقه المفضل بالأمس ...

وفجأة سقط الظل على الصفحة ...

رفع رأسه فراها ... كانت طفلة! ..

كلا ليست طفلة ... بل فتاة في عنفوانها ... ذهبية الشعر ..

تنعكس الأشعة الشمسية على جبينها فتدوب فى بوتقة تنسكب  
على الجبين لتلقى فى العينين الواسعتين بشلال من ضياء ...  
مشدودة نظرتها الودودة إلى ابتسامة على شفثيها ... فى تعبير  
لم يره من قبل فى وجه امرأة ...

أجلس ليست امرأة! فالبسمة بسمة طفلة لم تتجاوز عامها  
العاشر بعد ... وتلك البسمة التى تدعوك للمشاركة البريئة فى  
مؤامرة صغيرة ... تدعمها نظرة يلمع فيها مكر طفولى خالص  
(لا تخبر أحداً بالسر) ...

ولابد أن ابتسامته هو كانت رداً ... فقد أناه صونها يزغرد :  
- معذرة .. هل أضايقتك؟

ووجد نفسه يهتف بحرارة من ينفى تهمة :  
- إطلاقاً ...

أشارت بإيماءة خجلى إلى الجريدة فى يده ...  
- هل يمكنكى أن أنصفج جريدتك لحظة؟ ..

قدم لها الجريدة وكان يتوسل أن تأخذ معها قلبه ... تناولتها  
وشكرته بنظرة عميقة أشعلت فى داخله تلك الانفجارات الخفيفة  
لألعاب الأطفال فى الأعياد غرفت رأسها فى الصفحات  
المفرونة ... ولم تبد حركة ... تسمرت طويلاً وتجمد كل شىء  
حولها .. اختفت تغاريد الطيور .. وتلاشت صيحات الأطفال ...  
حتى ضوضاء السيارات فى الشارع القريب لم تبق منها حتى  
الصدى ...

وخلف سحابة داكنة توارت الشمس ... وسرت فى الجو  
قشعريرة باردة ... سقطت الجريدة من يديها ... ومن عيونها  
انحدرت دمعتان ... رفعت إليها أصابعها المرتجفة لتمسحها ثم  
استدارت وولت مسرعة ...

أفاق من دهشة اللتاعة بعد لحظة ... وانحنى بسرعة يلتقط  
الجريدة ...

بلهفة فتح نفس الصفحة ... وراح بدور بعينه باحثاً عن أى  
شء يمكنه أن يبكى تلك الطفلة ... وانهمك ينسج من كل سطر  
قصة ... يعايشها حتى تبكيه ... وفجأة سقط الظل مرة  
أخرى ... فهب يواجهها .. لم تكن هى ... كانت أخرى ...

تطلب نفس المطلب ... تفتح نفسه الصفحة ... تبكى أيضاً  
ثم تولى الأدبار ..

نهض وسار .. يبحث عن سر غامض ... وكن هناك بين  
الأشجار ...

يتضحكن ويشرن إليه ... همس لنفسه فى عزاء غاضب ...  
.. دعاية أطفال ... لا أكثر ..

كلمات من دفتر قديم :

الحقيقة قد تدمى أحياناً ... ولكن

جروحها تخرج الدم الفاسد .



## بر!

جلس الرجل الشيخ على المقعد الأرجوحة ... وجلس الفتى  
الصبي عند قدميه ...

فى عيون الأول تلمع انعكاسات الأشعة الغاربة ... وفى عيون  
الآخر تبرق نجمتا حلم بعيد ...

قال الصبي ...

- حدثنى عن جنيات البحر ...

حشا الكهل غليونه ثم أشعله .. وارنعد صوته بلذة قديمة ...

- كن يخطر فى الليالى القمرية ... عندما يكتمل البدر ...  
ترسمهن أولاً على الأمواج أشعة السنا الفضى ... ثم يتخلقن من  
غلالات صيفية تتجمع من لقاءات الزبد بالرمال ... تراهن بفتة  
على الشاطئ يحملن قيثاراتهن ويعزفن أغنيات الحب ...

- لمن؟

- لكل من يراهن! ...

- أكان متاحاً لكل أن يرى؟ ...

- كلا يا بنى ... فالسر ليس مباحاً إلا لمن يملك الرؤيا ...

- ولكنك كنت ترى ...

- الرؤية غير الرؤيا ...

- إذا فقد كنت تحلم؟! ...

- الحلم أيضاً غير الرؤيا ...

- أكاد لا أفهم ماذا تعنى ...

- الرؤيا يا ولدى أن ترى بقلبك ... أن تنظر داخلك فترى مالا  
تنظره عيناك ... لذلك كنت أراهن وحدى ...

- يدهشنى غرورك! فلست وحدك من يرى بقلبه ...

- ما أراه بقلبي لا يراه غيرى ...

- ها أنت تناقض نفسك فقد قلت منذ هنيهة أن جنيات البحر  
يتبدلن لكل من يراهن ...

- ذلك أن لكل جنياته ... وجنياتى لسن هن جنياتك إلا إذا  
كنت أنا هو أنت ...

- أنا لا أرى بعد أى جنيات ... وقد انتظرت ليالى اكتمال  
البدر كل شهرت ومسهرة حتى الفجر فى كل مرة ... ولكنى لم  
أر أياً منهن ...

- لأنك لم تنظر إلى داخلك ... ولم تر بقلبك! ...

- تقودنى مرة أخرى إلى سفسة الكهول! ...

- كنت فى شبابى البكر مثلك أبحث بعينى واتهم من يرى بقلبه ... ولا عليك يا ولدى فما تعيشه من ربيعك يزحم كل مشاعرك ويكدسها فى صدرك فلا تترك ثغره ينفذ منها شعاع الرؤيا ...

- وأنت الآن تزعم أنك صاحب رؤيا؟ إن هي إلا حسرات الماضى وإحباطاته تصنع لك فى خريفك وهما ترى فيه مالم تستطع أن تحققه ...

- ربما كنت علي حق! ولن أجادلك ... فلم يعد يهمنى أن يكون ما أراه وهما أو حقيقة ... فقط يهمنى أن أراه ... والآن هاند اكتمل البدر ... وهامى شعاعات السنا تتجمع على قمم الأمواج ... وبعد لحظة ... يتجمعن عند الشاطئ ...

راح ينفث دخان الغليون بشراسة ... وعيناه تبرقان فى مواجهة القمر ...

ونهض الفتى ... يضرب الرمال بقدميه ... ويفكر ... كيف ينظر الإنسان إلى داخله ؟

كلمات من دفتر قديم :

لو أتت الرياح دائما بما تشتهى

السفن ... لما عرف الإنسان

فرح الوصول إلى الشاطئ .

## القصة

اجتمعنا فى شرفة جارتنا كعادتنا كل ظهيرة حول رقعة الشطرنج ... كانت الشرفة متصلة بالشاطئ وكنا جميعاً نقضى إجازة الصيف ...

اكتشفنا بعد أيام قليلة أن هواية الشطرنج تجمعنا على اختلاف فى قدرة كل منا وإحاطته بفنون اللعبة ... باستثناء جارتنا ... ذلك الرجل الوقور الذى يتمتع بالإضافة إلى وضعه المرموق كواحد من كبار الرجال المتنفذين فى البلد ... بسمعة مدوية فى مجال اللعبة ... وقد راح يتسلى علينا واحداً بعد الآخر ... ويهزمنا فى الموقعة اليومية بلا رحمة ... ثم يجلس فى استرخاء وهو يتناول المرطبات ويشكو من افتقاده للذة اللعب لانعدام الندية وحرارة المنافسة ... وكنا رغم إحساسنا المرير بالغيب والمهانة نستسلم لمداعباته الثقيلة مغرضين الأمر لله! ...

حتى كان صباح ذلك اليوم المشهود ... ونحن مندمجون مع



نقلات المباراة بين «جارنا» وواحد منا ... انتبهنا فجأة على صوت رفيع له نبرة حادة ...

- نقلة الفرس خاطئة! ..

رفعنا عيوننا جميعاً لنراه ... طفل غص بلباس البحر لا يتعدى عمره الثانية عشرة ... ولا بد أن نظراتنا إليه كانت تفدح بشرر الاستهجان والسخرية ... لأنه مالبث أن أردف قبل أن ينطق أحدنا ...

- نقل الفرس بعري جناح الوزير ... ولا بد أن يؤكل الوزير بالتالى لأن الخصم سيحرك الرخ الحمى بفيله يهدد الملك أو الوزير فغدنا أفراهما دهشة ... ونظرنا إلى جارنا الذى اكفهر وجهه وتقلصت ملامحه ... وهتف بالطفل مؤنباً :

- إذا كنت تلعب الشطرنج فلا بد أنك تعرف آداب المشاهدة ... وأهمها ألا يتدخل متفرج فى سير اللعب أو بدلى بأى ملاحظة! أحنى الطفل رأسه خجلاً وغمغم :

- أسف ... لن أنطق بحرف إذا سمحتم لى بمتابعة اللعب ... أوما جارنا برأسه معطياً له الإذن فى برود ... ثم استأنف اللعب ...

وانتهت المباراة كالعادة بفوز «الأستاذ» .. وبر الطفل بعهده ولم ينطق .. حتى بدأ الجار العزيز فى إلقاء مطولته اليومية عن سوء مستوى منافسيه وإحساسه بالملل وانتفاء الندية! ..

تقدم الطفل بابتسامة ساذجة مؤدبة :

- أسمح لى بشرف اللعب معك ياسيدى؟ .. دور واحد فقط! ..

ارتفع حاجبا جارنا استهانة واستنكافاً ... ونظرنا كأنه يشهدنا على حماقة الطفل ... وحين لمح على وجوهنا أمارات الترقب والتأييد ... ضحك بعصبية .. ثم غمغم بلهجة المضطر ...

- لا بأس ... ولكن كما قلت ... دور واحد فقط! ..

راح الطفل يعيد ترتيب الرقعة بسرعة ... ثم بدأت المباراة .. وبعد خمس دقائق فقط ... كان جارنا يحملق فى الرقعة بعينين جاحظتين وقد تخشب فى جلسته واحمر وجهه ... وكان الطفل يهمس وعلى وجهه ابتسامة وانية كابتسامة الجيو كندا :

- كش ملك! ..

... مات الملك! ... وظل جارنا مسمراً مكانه ... بينما نهض الطفل ... يمد له يده :

- شكراً ياعمى!

لم يصافحه الرجل ... بل انفجر يأمره بالجلوس ...

- اجلس لنلعب دوراً آخر ... استهنت بك فلم أركز! ..

استأنفا اللعب ... سبع أدوار متتالية ... انتهت كلها بنفس النتيجة ..

... وطوال الأيام التالية ... شهد الشاطئ منظرأ لم يبرح ذاكرتى طوال سنوات ... الطفل يلعب الراكب مع رفاقه ...

وقريباً يجلس الرجل الوقور أمام رقعة الشطرنج ينتظر بلهفة انتهاء  
لعبة الراكث ... وبداية المباراة الأخرى ...

(تناهت إلى أسماعنا فيما بعد أقاويل عن استقالة جارنا من وظيفته  
واستقراره بتلك المدينة الشاطئية حيث يحمل كل يوم رقعة وصندوق  
الشطرنج ويطوف بهما على المقاهى باحثاً عن طفل يلاعبه) .

كلمات من دفتر قديم :

لو أن بينى وبين الناس شعرة  
لما انقطعت ... فإذا شدوا أرخيت  
وإذا أرخوا شددت ...

«معاوية بن أبى سفيان»

## فبروز!

... ينسكب الصوت فى أذنيه شلالاً من ضياء فينير تلك  
المساحات المعتمدة من الأحزان الجاثمة فى الأعماق ...  
وبداخله اهتزت أوتار أصدأها الصمت الطويل ...  
كانت الترنيمة تأتى من هناك ... عبر السور الفاصل بين  
الشرفتين ...

لم ينتبه قبل اللحظة لوجود من يجاوره .. فقد ظل المسكن  
خاليا منذ جاء ليقطن تلك البناية الجديدة ... وظل يعانى من  
وحشة قاتلة! ..

كل ما حوله فى الحى الجديد هادئ ... راق ... نظيف ...  
حيث يلمع الصمت ... وتتهامس الألوان المتجاورة للشجر والزهور  
والنوافذ الزرقاء ...

كم كان يأنس إلى المنزل السابق فى حيّه القديم حيث يتعانق



الصخب مع توهج الناس ويلتحم الزحام بمشاعر الألفة  
والاقتحام... لكنها رحلت...

فجأة ذات صباح... صرخت... جاءت سيارة  
المستشفى... ذهبت... ولم تعد...

وكان لا بد وأن يهرب... فالبقاء معها - بدونها - موت يتجدد  
كل ساعة... وبصماتها تغطي كل ما تلمسه يده... وعطرها  
يعبق في كل نفس يعيش عليه...

رحل إلى حيث لم يلف... إلى الصمت اللامع... والألوان  
الهامسة... سيظل يراها كما رآها طوال أعوام الحب للترعة... ولكن من  
بعيد... من هنا... سيرها أقرب... ربما أبعد... ولكن أكثر حياة...

تلك الأغنية كانت أهزوجتها المفضلة... كلما ارتدت  
غلاطاتها المسائية وتهادت إلى جواره وراحت تدندن له...

كانت تعشق هذا الصوت... وعلمته أن يبادلها العشق عبره...  
وتلك الكلمات بالذات... سنرجع - خبرني العندليب...

بأن البلابل لما تزل... هناك تعيش بأشعارنا...

وتساءل في نفسه... أهى الصدفة وحدها؟... ربما فعشاق  
الصوت كثيرون!..

لكن الأمر تكرر في اليوم التالي... ثم في اليوم الثالث...

في نفس الموعد كل يوم... مع اختفاء الشمس في حمرة  
الشفق... يدير الجار نفس الأغنية!... لا يمكن أن تكون مجرد  
صدفة! «همس لنفسه وهو يختلس النظر إلى الشرفة المجاورة...

لم يحاول عمره أن يتلصص أو يقتحم خصوصية الآخرين...  
ولكن الإغراء هذه المرة لا يقاوم... فهناك في صدره تضطرم تلك  
الانفعالات وتكاد تخرجه...

... ومن خلال الستار رآها...

كانت عتمة الرماد في الأفق الغربي تظلل الوجه... لكن  
الرأس... والشعر... والقوام... وطريقة وضع الساق على  
الساق... وارتكازها بنحدها على كفها... و....

الأغنية!!

تجمدت أوصاله وأحس بالرعب يختلط بفرح أخرس يهدد  
البكاء المكتوم...

هرع إلى حارس البناية...

- من بالشقة المجاورة!..

- لم يقطنها أحد بعد...

- لكنها بالداخل... تجلس في مدخل الشرفة... خلف  
الستار... وتدير شريطاً فيروز... وحملت الحارس في وجهه  
هنيئة... ثم أمسكه من ذراعه وقاده إلى الرصيف المقابل... وأشار  
له بزرعة...

- أترى؟.. المسكن مغلق...

صعد معه إلى المسكن... فتحه... كان خاوياً...

هو في الحقيقة لم ينتقل... ولا يستطيع!...



## السادة الزركاش

- من مواليد طنطا بمحافظة الغربية .
- من أسرة تعيش في مدينة كفر الشيخ .
- حصل على ليسانس الآداب - قسم الدراسات النفسية والاجتماعية ، في جامعة عين شمس .
- كتب القصة القصيرة والرواية ونشر في الدوريات الأدبية حتى منتصف السبعينات .
- تحول إلى كتابة الدراما للتلفزيون من عام ١٩٧٧ .
- كتب للتلفزيون ٢٦ مسلسلا و ٢٠ سهرة ، وللسينما ٥ أفلام .
- مصدر للكاتب عدة مؤلفات منها : خارج الدنيا - أحلام في برج بابل - مقاطع من أغنية قديمة - الاسكندراني - ليالى الحلمية - الناس اللي في الثالث

ودار نهضة مصر أصدرت للمؤلف ثلاثة كتب هي :

أوراق مسافر

تباريح خريفية

همس البحر

## الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	٢	طيف.....	٤٤
المقدمة.....	٤	كذبه.....	٤٨
قدر!.....	٧	عصفور!.....	٥١
خريف.....	١٠	عائده.....	٥٤
موجه.....	١٣	وعد!.....	٥٧
شاهد.....	١٦	ظل.....	٦٠
حلم!.....	١٩	عطر!.....	٦٦
لقاء!.....	٢٢	رماد!.....	٦٩
سؤال.....	٢٥	سمر!.....	٧٢
حين تأتى!.....	٢٨	بالأمس!.....	٧٥
قبيل الفجر.....	٣١	سفر!.....	٧٨
أراني.....	٣٥	براءة!.....	٨١
غربة.....	٣٨	سمر!.....	٨٤
شجن.....	٤١	اللعبة.....	٨٧
		فيروز!.....	٩١



# مع تحياتي : علي مولا



قررت أن أكتب في الرومانسيات  
... أترك نفسي لتقيار المشاعر  
يحملني في سفرة يومية عبر  
أجواء اللاشعور والمخبوء ...  
وما انحطت عليه الجوانح ...  
وأريد أن أغمس سن القلم في  
شغاف القلب ... يستمد مداده  
من الجراح الحية ... ونسيج  
الذكريات وأحلام اليقظة واطلال  
الأمال الكسيرة وإشراقات  
الأماني الوليدة ... مقدراً أنني  
في حقيقة الأمر لا أكتب  
تهويمات تتطاير في الهواء  
كدخان ... وإنما أكتب حقائق  
نفسية تبدو شديدة  
الخصوصية ولكنها في واقع  
الأمر تلمس أوتار القلوب لدى  
كل قارئ ...  
لم أتصور قبلاً أن لدى كل هذا  
المخزون .. وأن بداخلي هذا  
الشاعر وإن لم يكن ما يكتبه  
شعراً ..

٢١/٢٩  
نظام التقييم  
٢/٥٥

اسامة أنور عكاشة



الهيئة العامة  
للثقافة والنشر والتوزيع

# مع تحياتي : علي مولا